السودان
مفهومه ، حدوده ، وأسماؤه ، وعواصمه ، ولغاته

للأستاذ الدكتور حسن الفاتح قريب الله

أصالة السُّودان

السُّودان كغيره من كثير من بلاد العالم ذو تاريخ طويل إن لم نقلْ أطول من غيره وأقدم ، كما كان يتَبنَّى ذلك ديودوروس Diodorur [١] الذى وصف سكان السودان بأنّهم أولُ الخلق على ظهر الأرض [٢] .

وأهْل السودان هم أهل حضارةٍ عريقة كانت تجرى مجرى النيل [٣] ، عليها دلّت الآثار ، وبها اعترف المنْصفون من العلماء الكبار [٤] ، علمًا بأنّ بلادهم لم يُكوِّنْها النيل بما يحمل إليها من طمْى كما هو الشأن فى مصر التى نزح إليها سكّانها من الخارج طمعًا فى الاستقرار ، ورغبة فى الاستفادة من خصوبتها والاستثمار لأمكانيّاتها [٥] .

كان سكانُ السودان من الوعْى بحيث عبدوا الإله الواحد ، وامتلك حبه لقلوبهم [٦] وهم وإن أفْسد الغير عقيدة بعضهم فى توحيده فقد تميزوا بالولاء له ، وبزُّوا فى التفنّن فى وسائل مرضاته مما جعلهم على مر العصور هداة

ألقى هذا البحث فى الجلسة العاشرة من مؤتمر المجمع بتاريخ ٤ من ذى القعدة سنة ١٤١٥ هـ الموافق ٤ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٥ م

١ – مؤرخ إغريقى عاش وكتب فى القرن الأول قبل الميلاد .

٢ – تاريخ السودان بلندورص ١٧/ ٤٠ ، ورابع الجواهر الحسان فى تاريخ الحبشان ص ز .

٣ – بلاد النوبة فى العصور الوسطى لمؤلفه بسبل . شني طبع ١٩٥٤ م

٤ – السودان بلاد الرقى والحضارة والدين للبروفسير حسن الشيخ الفاتح .

٥ – تاريخ السودان لمندور المهدى ص ٤٠

٦ – مرت الأديان فى كل العهود بمراحل :

أولها : دور العقيدة النقية التى نادى بها سيدنا آدم أبو البشر عليه السلام ، وهى دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها .

الدور الثانى : دور الرموز والطقوس ، وهو دوْر وُضعت فيه الحقائق خلف الستور والحجب لكى تظل الاسم تحت تأثير السرية الكهنوتية ، وسيطرة الكهنة والمتاجرين بقضايا الدين .

الدور الثالث : هو دور الفترة أوْ طور امتوز الدينى وظهور الشرك ، فى ضروبه ودروبه الخفية المستترة والظاهرة الواضحة .

الدور الرابع : هو دور التجديد وهو الدور الذى يجدد أمه وفيه لكل أمة نذير سواء أكان نبيا أو نبياً رسولاً .

الدور الخامس والأخير : هو دور الصُّحوة وهو الدور الذى سَبق ختمُ الرسالات ولم يبق للأمم فيه خيرٌ إلا بالتأسى بالمجددين وسلوك نهج الصالحين (راجع عن بعض ماذكرمن أطوار كتاب أثر العقيدة فى منهج الفن الاسلامى لمصطفى عبده) طبع دار الأشواق ببيروت سنة ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م

لغيرهم [٧] ، وإن اختلف كنه تلك الهداية باختلاف التيّارات الفكرية ، والأديان ، والأهواء ، والثقافات التى وردت عليه .

وقد عرف السودانيون كذلك التجارة الدولية [٨] ، وعرفوا القوانين واستنوها ، وعملوا بها وحكموها فى مختلف شئونهم [٩] وعرفوا الصناعات المختلفة التى تدلُّ على التقدم المطّرد فى المستوى الحضَارى وارتفاع مستوى المعيشة مثل الأقمشة والمنسوجات وأدوات الزينة والزجاج وأطباق الذهب والفضّة والنحاس والأسلحة - وعرفوا أيضًا وحدة اللغة وتبنوا خلال فترة معينة الهيروغليفية منْها والإغريقية والقبطية والهندية ، وأشاعوها لدى غيرهم [١٠] ، وبنوا القصور وأشادوا الأهرامات التى بدأتْ بداية طبيعية فى كبوشيه ومروى وكريمة ، والكرو ثم تدرجت إلى أن تمثّلت فى الهرم الأكبر الذى يُعتَبر امتداداً لأرض النوبة ، وجزءاً من أجزاء الوطن خلال الحقبة السابقة للبعثة المحمدية [١١] .. وعرف السودانيون كذلك المعابد وشيّدوا لها المبانى فى مروى والكرو وصاونقا وصرصْ وبوهين ، وغيرها [١٢] ، وأنشأوا لأنفسهم حكومة قومية فى القرن الثامن قبل الميلاد [١٣] .

وكانت بعض القبائل التى تقطن السودان قد اختارت عمداً ضفاف الأنهار لها سكنًا ليُسْرالحياة الإنسانية بجواره ، علما بأنه لما كان الطقس بتلك الأماكن وغيرها حارا ، فقد اسودّتْ بشرتهم ، أو احترقت [١٤] فوصفهم كتاب العرب بالسودانيين [١٥] ،

---

٧ - التصوف فى السودان لحسن الفاتح نشر كلية الدراسات العليا بجامعة الخرطوم سنة ١٩٨٧ م .

٨ - الموانى السودانية ص ٦

٩ - تاريخ السودان ص ٤٠

١٠ - تاريخ السودان ص ٤٠/ ٥٠ ، والفهرست لابن النديم ص ٢٨ والموانىء ص ٥٨ .

١١ - أطلس تاريخ الإسلام للدكتور حسين مؤنس ص ٤٦/٤٧ ، خرائط رقم ٢٩/ ٣٠/ ٣١ (صورة مرفقة) .

١٢ - تاريخ السودان لشقير ص ١٦

١٣ - تأريخ السودان ص ٧ ، والمسالك والممالك ص ٥

١٤ - مقدمة ابن خلدون ، هذا ومع أن لونهم إلى السمرة الشديدة أقرب فقد عدّهم أهل التاريخ من الجنس الأبيض راجع الجواهر الحسان فى تأريخ الحبشان لأحمد الحفنى ص . (و) طبع بولاق . مصر سنة ١٣٢١ هـ

١٥ - السودان جمع أسود (لسان العرب المجلد ص ٢٢٤طبع ١٩٥٥ م)

أو الأحباش [١٦] ، وأطلق اليونانيون عليهم لفظ الأثيوبيين [١٧] ، وسمّاهم العبرانيون بالكوشيين [١٨] .. وهى أوصاف أربعة ذات مفهوم واحد وهو السواد أو الوجه المحترق .

مفهوم لفظ (السُودان) عند العرب :

لقد كان السودان حسب مفهومه الحالى - يضم فيما مضى أجناسا من البشر وأشتاتا من القبائل [١٩] وهو بحكم مجاورته للجزيرة العربية كان معروفاً لدى سكانها ومشهوراً بين أبنائها . وكان الاسم الذى يطلق عليه لا يندرج عن تسمية المحل باسم الحال وإلباس القطر ثوب السكان .

وللتدليل على ذلك ، أذكر ما جاء فى كتابات المؤلفين فى الفترة ما بين (٢٥٥ هـ/٨٦١ م - ٢٧٤ هـ/١٤٦٩ م) .

أ - الجاحظ :

كتب الجاحظ المتوفى (سنة ٣٢٥ هـ / ٨٦٨ م) رسالة أسماها (فخر السودان على البيضَان) تحدَّث فيها عما للأولِ من فضَائل ومزايا وما للآخرين من رذائل وخطايا ونحن الآن لايهمُّنا مناصرة الجاحظ أو مناكفته بمقدار ما يهمنا هذا العنوان الذى أطلقه على رسالته ، وتلك المقارنة التى عقدها بين السودان والبيضان ..فعنوان الرسالة وما جاء فيها مما يفيده - لا يمكننا أن نفهم منه إلا أحد الأمور الآتية :

١ - إمَّا أنه أراد الاسمية من لفظى السودان والبيضان ، فيصحُّ الأول ويبطل الثانى ، إذ لا بلد تُسَمَّى بهذا الاسم .

٢ - وإمَّا أنه لم يرُد الاسمية من كليهما -

---

١٦ - حبش يحبش إذا اسود : قال فى اللسان الحبش جنس من السودان سموا بذلك لاسود ادهم وقيل هذه الجماعة أيًا كانوا لأنهم إذا تجمعوا اسودوا وقال أيضًا ناقة حبشية شديدة السواد . قال فى الطراز المنقوش . محاسن الحبوش لعلاء الدين محمد بن عبد الباقى المدنى المؤلف سنة ٩٩١ هـ . يرجع نسب جميع أجناس الحبوش إلى (حبش) بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام ولذا تلحق بهم ياء النسب عند الإضافة فيقال حبشى وحبشية نسبة إلى جدهم حبش المذكور .

١٧ - إثيوبيا لفظ يونانى معناه الوجه المحترق .

١٨ - نسبة إلى كوش التى تعنى فى العربية الأسود راجع الفصائل اللغوية للدكتور محمود فهمى حجازى ص ١٩ بحث مقدم من لجنة اللهجات والدراسات اللغوية إلى مؤتمر مجمع اللغة العربية الدورة ٥٨ / وراجع مقالا للدكتور جعفر ميرغنى عن تذوق الجمال الأخضر نشر بجريدة السودان الحديث بتأريخ الثلاثاء ١٢ يوليو ١٩٩٤ م

١٩ - مقال للأستاذ العالم أحمد سليمان المحامى بعنوان القول الحق عن أصل سيدنا موسى عليه السلام .

وهو عبث لا يليق بكاتب عادى ، بَلْه من هم فى مثل مستواه العلمى والأدبى .

٣ - وإمَّا أنه أراد الاسمية من لفظ السودان دون البيضان فتفوت المقابلة وتذهب المقارنة ، وهو إنما كتب الرسالة من أجلها وساق الحديث لتدعيمها ، بدليل أنَّه ضمَّن الرسالة من الاستشهادات مايأتى :

(السودان أكثر من البيضان ، والصخر أكثر من الوحل ، والرمل أكثر من التراب والماء المالح، أكثر من العذاب) . (٢٠)

فإن لم يكن يعنى المقارنة ويقصد المقابلة ، فما قصده ؟! وإلام ترمى كتابته ؟

٤ - وإما أنه أراد بها الوصْفية وهدفَ بهما إليها ، وهو ما نزْعم استنادا على سبق من نَص ، واعتمادا على ما يعقب ذلك من مثل قوله (مناقب السودان أن لقمان الحكيم منهم) (٢١) وقوله : (وكذلك البيضان منكم لا يكادون ينشطون لطلب النسل من الزنجيات والزنجية أيْضًا من الزنج أسرع لقاحًا منها من الأبيض) (٢٢) .... وقوله (فإن كان اسم السود قد وقع علينا فنحن السودان الخُلَّصْ ، والعرب أشباه الخُلَّصْ) وقوله : (ومنَّا العرب لا من البيضَان تقرب ألوانهم من ألواننا ، والهند أسمر ألوانا من العرب وهم من السودان .(٢٤)

ب - ابن واضح :

كتب ابن واضح (المتوفى سنة ٢٨٤ هـ / ٧٩٧ م) تحت عنوان (ممالك الحبشة والسودان) مايلى : (وكان له حام بن نوح ، قصدوا عند تفرق ولد نوح من أرض بابل إلى المغرب فجاوزوا عبر الفرات إلى مسقط الشمس وافترق ولد كوش بن حام - وهم الحبشة والسودان لما عبروا نيل مصر فرقتين) .

النص صريح إذن فى أن المقصود بلفظ السودان ليس البلد وإنما ساكنوها والمعمِّرون لها إذ أن الأرض ليست أحد أبناء كوش ، كما

---

٢٠ - الجاحظ : فخر السودان على البيضَان ص ٥٥
٢١ - فخر السودان على البيضان ص ٥٥
٢٢ - الجاحظ فخر السودان على البيضان ص ٧٤
٢٣ - نفسه ص ٧٢
٢٤ - نفسه ص ٧٦

أنها ليست مما يعبر النيل ، ولا مما يفترق فرقتين لجمودهما .

ج - ابن الفقيه :

كتب ابن الفقيه (المتوفى سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م) مايأتى : (وأرض السودان مسيرة سبع سنين) . (٢٦)

والسودان فى هذا النصِّ مضاف إلى الأرض .. وإضافته للأرض تعنى مغايرته لها إذ لابد بين المضاف والمضاف إليه من تغاير ، وإلا كانا شيئا واحدا .. وما دامت كتب اللغة، تفسِّر الأرض بغير التقسيم الذى تفسر به السودان فذلك يفيد تغايرهما ، كما يقود بالتالى إلى ما ندَّعيه إذ لا معنى فيها للسودان غير أنه جمع أسود (٢٧) .

د - الفارسى الكرخى :

كتب الفارسى الكرخى (المتوفى سنة ٢٩٨ هـ / ٩١١ م) مايأتى : غير أن بعض السودان المقاربين لهذه الممالك يرجعون إلى ديانة ورياضة وحكم) (٢٨) .

وبعض السودان المشار إليهم فى هذا النص والموسومون بأنهم أصحاب ديانة ورياضة وحكم لايمكن أن يكونوا غير من نعنيهم نحن ، بدليل أنه قال عنهم فيما بعد : (وما بين برارى السودان والبحر المحيط فى الجنوب فقفر خراب) (٢٩) وقال : (فإن بلد السودان الذى فى أقصى المغرب على البحر المحيط ، بلد مكتفٍ ليس بينه وبين شىء من الممالك اتصال وبلغنى أنَّ طول أرضهم نحواً من سبعمائة فرسخ فى نحوها ، غير أنها من البحر إلى ظهر الوحات أطول من عرضها) (٣٠) .

أتراه يعنى بالسودان هذه الأرض التى رسمت حدودها اتفاقية سنة ١٨٩٩ م/١٣١٧هـ وهى أرض أبعد ما تكون عن المحيط ، وعن تلك المساحة ؟ ..أم تراه يعنى بها أرضا غير هذه ، وليس فى النص ما يعيِّن ذلك بل إن فى النص ماينفى إرادته شيئا من ذلك ، فلقد أضاف كاتبه لفظ السودان إلى بلد ، وإلى برارى والإضافة تعنى المغايرة كما قلنا ،

---

٢٥ - ابن واضح : تاريخ اليعقوبى ج ١ ص ١٥٥

٢٦ - ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٥٩

٢٧ - لسان العرب المجلد الثالث طبع بيروت سنة ١٩٥٥ م ص ٢٢٤

٢٨ - الفارسى : المسالك والممالك ص (٥)

٢٩ - المسالك والممالك ص ٧

٣٠ - المسالك والممالك ص ١٠ ، ١١

وإلّا كان شيئا واحدا بمعنى بلد بلد ، وبرارى برارى ، أو بمعنى السودان وهذا ما ليس مقصودا مما يؤدى إلى صحة الدعوى التى سُقْنا من أجلها الحديث .

هـ - ابن خرداذبة :

كتب ابن خرداذبة (المتوفى سنة ٣٠٠ هـ/٩١٣ م) ما يلى : (ومن سكن على النيل فإنّما هم ولد حام ، سودان ، وبربر ، وأقباط مصر ، وأحزامه) (٣١) فهو هنَا قد جعل السودان ، كما جعل الأقباط أحد أولاد حام ، وأولاد حام ليسوا أرضًا .. فإنْ كنّا نُصرّ مع ذلك على أنه أراد الأرض لا الشعب فليكن أقباط مصر كذلك أرضاً ، وهذا ما لا يقبله أحد .

و - الطبرى :

كتب الطبرى (المتوفى سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) ما يلى : (وبالمغرب من السودان البجة والنوبة ، وأهل غانا الغافر ، وبينوب ، وود عيسى ، والقروية ، ويكسوم ، ومكاره وأكرم ، والحمس) (٣٢) .

لقد حافظ الطبرى كما ترى - على عطف سكان المغرب بالواو ، ولم يستثن من ذلك غير غانة فإنه قال عنْها : وأهْل غانة .. واسْتثناؤه لغانة دون غيرها دليل على مخالفة غانة لغيرها فى الإطلاق ، ومادامت غانه اسمًا لأرضٍ ، فالبجة والنوبة ، وغيرهم ليسوا كذلك وهؤلاء أصْناف السودان والمكوِّنون له ، وإذا ماعلمنا أن الصنف لا يخالف أصله أمكننا أن نجزم بأن السودان هنا ليس اسمًا للأرض وإنما هو اسم لسكان أفريقيا ، أو المغرب كما فى هذا النص .

ز- المسعودى :

كتب المسعودى (المتوفى سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م) ما يأتى : (ووراء علوة أمّة عظيمة من السودان) (٣٣) .. وكتب أيضًا تحت عنوان ذكر أمم السودان ، وأنسابهم واختلاف أجْناسهم وأنواعهم ، وتباينهم فى ديارهم وأخْبار ملوكهم ، مايأتى : (ولما تفرق ولد نوح فى الأرض ، صار ولد كوش بن نعمان نحو

٣١ - ابن خرداذبه : المسالك والممالك ص ٩٢
٣٢ - الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ٥٢
٣٣ - المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ٢ ص ٣٨٣

المغرب حتى قطعوا نيل مصر ثم افترقوا ، فصارت منهم طائفة مقيمين بين المشرق والمغرب وهم النوبة والبجة والزنج ، وصار فريق نحو المغرب ، وهم أنواع كثيرة نحو الزغاوة ، والكانم ، ومركة وكوكو ، وغانة ، وغير ذلك من أنواع السودان والدمادم) [٣٤] .. وقال : (وكذلك علة تكّون السودان فى بعض البقاع من الأرض دون البعض ، وتفلفل شعورهم ، وغير ذلك من مشهور أوصافهم) [٣٥] ... ففى النصوص السابقة تردد ذكر السودان غير ما مرة ، ففى الأول اعتبره نوعاً تتفرع منه الأمم وتتشعب من تحته الأنواع وهذا عين ماجاء فى النص الثانى وعنوانه .. وفى الأخير عده كذلك وبدأ يتكلم عن مراكز تجمعه وعلة تفلفل شعره ، وكل ذلك يعنى أنه إنما أراد الوصفية من اللفظ ولم يلتفت قط إلى ما يمكن أن يتحمله اللفظ فى مستقبل أيامه من اسمية للقطر .

وقد كرر المسعودى نفس المعنى فى كتاب آخر له فقال (فيخرج من هذه البطيخة نيل مصر فيقطع السودان) [٨٣] .. هذا وقد سبق أن ذكرنا مايجب أن يكون بين المتضايفين من تغاير فلا نعيد شيئا ذكرناه .

ح - البشارى :

كتب البشارى (المتوفى سنة ٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م) مايلى : (وأما أرض السودان فإنّها تُتاخم هذه الأقاليم ومصر من الجنوب) [٨٤] والبشارى كسابقه المسعودى لا يفهم من السودان إلا خلاف ما يفهمه من الأرض بدليل إضافته هذه إلى تلك .

ط- ابن حوقل :

كتب ابن حوقل (المتوفى سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) مايلى : (غير أن بعض السودان المقارين هذه الممالك المعروفة يرجعون إلى ديانة وحكم [٨٥] وهو رأى سبق أن قاله الفارسى ، وناقشناه فيه ، فلا نرى سبباً لإعادة الحديث عنه [٨٦] ، غير أنّنا نُضيف أن متابعة ابن حوقل للفارسى فيه بالرغم من تأخره فى الزمن

---

٣٤ - نفسه ج ٤ ص ١-٢
٣٥ - نفسه ج ٤ ص ٨-٩
٨٣ - مروج الذهب ص ٥١
٨٤ - البشارى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص (٢٤١) .

بالنسبة إليه تؤكد لنا أن اللفظ كان مايزال يحتفظ بمفهومه اللغوى حتى عهد هذا المؤرخ المذكور .

ى - ابن النديم :

كتب ابن النديم (المتوفى سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) تحت عنوان الكلام على السودان مايلى : (فأما أجناس السودان من النوبة والبجة ، والزغاوة ، والأشنان ، والبربر وأصناف الزنج ، سوى الشند فإنهم يكتبون بالهندية للمجاورة) (٨٧) .

هذا وعودة ابن النديم للتفصيل بعد الإجمال تؤكد لنا بأنه إنما يقصد من السودان هذا الوصف الذى كان يطلق على الشعب لا الاسم الذى أطلق فيما بعد على الأرض .

ك - ابن حزم :

كتب ابن حزم (المتوفى سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م) مايلى : (ثم أسلمت البجة وبقيت النوبة والحبشة خاصة دون سائر السودان منهم نصارى وهم الأكثر) (٨٨) .

فاستثناء ابن حزم لسائر السودان عمن ذكر ممن أسْلم ، يفيد أن مالم يُسلم من جنس هؤلاء وإلا لو كان أرضاً لما استقام المعنى إذ الأرض لا يتصور منها إسلام أو عدم إسلام حتى يصح لنا إدخالها أو إخراجها ممن أسلموا .

ل - صاعد بن أحمد :

كتب صاعد بن أحمد (المتوفى سنة ٤٦٢ هـ / ١٠٦٩ م) بعد أن عدد ثلاثًا من أمم العالم القديمة مايلى : والأمة الرابعة القبط ، وهم أهل مصر وأهل الجنوب وهم أصناف السودان من الحبشة ، والنوبة والزنج « وظنه » (٨٩) وغيرهم من أهل المغرب وهم البرابر ومن اتصل إلى بحر إقيانس الغربى والمحيط (٩٠) وقال : ومنهم من كان ساكنًا قريبًا من خط معدّل النهار وخلفه إلى نهاية المعمور فى الجنوب ، فطول مقارنة الشمس لسمت رؤسهم أسْخن هواءهم وسخّن جلودهم

---

٨٥ - ابن حوقل : صورة الأرض القسم الأول .
٨٦ - راجع ماتقدم .
٨٧ - ابن النديم : الفهرست ص ٢٨
٨٨ - ابن حزم : جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى ص ٣٤٥
٨٩ - مابين القوسين زيادة تجدها فى ص ٩ من طبقات الأمم .
٩٠ - صاعد بن أحمد : طبقات الأمم ص٧

فصارت لذلك أمزجتهم حارة وأخلاطهم محرقة ، فاسودت ألوانهم وتفلفلت شعورهم ... مثل من كان من السودان ساكنًا بأقصى الحبشة والنوبة والزنج وغيرها [٩١] .

وبعد فها أنت ترى صاعداً الأندلسى قد فرّع أصناف السودان من عموم لفظ الأقباط ، وتفريعه له منْه دليل على مماثلته له فيه ، إذ لا يُفرّع الشيء إلا ممّا : يُماثله ، .. فإذا أضفنا إلى ذلك أنّه عاد ففرّع الحبش والنوبة وغيرهم من أصناف السودان أمكننا أنْ نجهر بأن لفظ السودان هنا لفظ عام ، ووصفٌ شامل لكل سكان الجنوب المشار إليْهم فى النص .. يؤيد ذلك أنه فى النص الثانى بدأ فى تعليل هذه الصِّفة التى تميزهم والقاسم المشترك الذى يجمعهم .، وهذا الصنيع منه يؤكد أنّ مفهوم اللفظ عنده كان مايزال عند أصل وضعه ، وإلاّ فلماذا اختار توجيه الحديث هذه الوجهة المخصوصة .

م - ياقوت الحموى :

كتب ياقوت الحموى (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ/١٢٢٩ م) ما يلى : وخلفهم أمّة أخْرى من السودان تدعى تكنة [٩٢] .. ولفظ (من) المستعمل فى (من السودان) يفيد التبعيض، والأمّة لاتكون بعضًا من أرض ، وإنّما من بشرٍ السوادُ وَصْفُهم .

ن- ابو الفداء :

كتب أبو الفداء (المتوفى سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) تحت عنوان ذكر اسم أمم السودان ما يلى : فمن أعظم أممهم الحبش وبلادهم تقابل الحجاز ومن أسمائهم أيْضًا : النوبة ، والبجا ، والدمادم ، والزنج والتكرور [٩٣] .. دلالة العنوان على إثبات دعوانا واضحة ، ولكنّى مع ذلك سأضيف : أن قوله (وبلادهم) التى أضاف فيها اللفظ إلى الضّمير العائد على السودان ، وذلك يدفع بدعوانا قويةً إلى سنة، ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م وهى سنة وفاة هذا المؤرخ المذكور .

---

٩١ - ابن النديم : الفهرست ص ٢٨ .
٩٢ - ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ٨ ص ٣٢٣ .

س- ابن الفرات :

كتب ابن الفرات (المتوفى سنة ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م) ما يلى : ثم غزاها (أى النوبة) كافور الأخشيدى وكان أكثر جيشه السودان فقال الشاعر :

ولما غزا كافور دنقله غدا

بجيش كطول الأرض فى مثل عرضها

وقال أيضا :

غزا الأسودُ السودانَ فى روْنق الضّحى

ولما التقى الجيشان أظلمت الأرض

ثم غزاها الأمير ناصر الدولة بن حمدان ، وكبس السودان ، ونهب جيشه (٩٤) . فهذه الأغلبية التى كان السبب فيها السودان ، وذلك الجيش الذى قابل كافوراً مدافعًا عن أرضه ، وذلك السودان الذى تعرّض لغزو ناصر الدولة - لايُمكن أن يكون أرضًا ، وإنّما بشرٌ يُدافع عن حقّه فى الحياة الحرة ويُمِد العونَ لكل مستنصرٍ به .

ع- القلقشندى :

كتب القلقشندى (المتوفى سنة ٨١٤ هـ / ١٤١١ م) مايلى : والمقصود الآن الكلام على ماعدا ذلك وهو بلاد السودان (٩٥) .. وقال : وقاعدتهم سواكن وهى بليدة للسودان .. (٩٦) وقال : وفى غربى دنقلة وشماليها مدنهم المذكورة فى الكتب .. وقال الإدريسى : وهى غربى النيل على ضفته وشُرْب أهلها منه .. وقال : وأوّلها سودان ، ولكنهم أحسن السودان وجوهًا وأجملهم شكلاً ... (٩٧) فمَنْ هؤلاء السودان الذين عناهم القلقشندى ؟ .. أليسوا هم أهل الأرض وسكان (سواكن) وأصحاب البلاد ؟! .. فإن لم يكونوا كذلك فكيف يصحُّ للقلقشندى وصفهم بجمال الوجْه وكيف يُسْتساغ منه إحلالهم لبعض أراضى إفريقيا ؟ !

ف- المقريزى :

كتب المقريزى (المتوفى سنة ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) نصوصاً تضمّنت ما يلى :

---

٩٤ - ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٤٥ .
٩٥ - القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٧٣ .
٩٦ - القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٧٤ .
٩٧ - السلوك لمعرفة دول الملوك جـ١ - القسم الثالث ص ٧٥٠ .

يايوم دنقلة ويوم عبيدها

من كل ناحية وكل مكان

مِن كل نوبىٌّ يقول لأخته

نوحى فقد سَكّوا قَفا السودان

ويضيف .. إنّا إذا ابتدأنا فى بلاد السودان من الغرب فأول مانجد فيه من المدن التى للسودان العراة المهملين (٩٨) .

أكان السودان الذين سُك قفاهم أرضًا ؟ .. وإذا صحّ فما معنى وصف المقريزى للأرض بالعرى والإهمال ، والأرض ليست مما تُوصف بذلك ، ثم كيف يُضيف أرضًا إلى أرض فى قوله بلاد السودان ؟ ..

الأمر على كل حال لا يستقيم إلا بجعل السودان وصفًا لهذا الشعب وهذا ما ندعيه نحن .

ص - ابن الوردى :

كتب ابن الوردى (المتوفّى سنة ٨٦١ هـ / ١٤٥٧ م) تحت عنوان أمم السودان ما يلى :

(وهم من ولد حام .. وعن جالينوس اختصاصهم بعشر خصال منها تفلفل الشعور ، وسواد اللون ، فمن أعظم أممهم الحبش .. ومن أممهم الزنج أشدهم سواداً (٩٩) .

فى هذا النّص - كما هو واضح - اعتبر ابن الوردى السودان من أولاد حام ، والأرض ليست مما يُنْسب إلى حام على أنّها من أبنائه ، ثم إنها لا تختص بعشر خصال ، من بيْنها تفلفل الشعر والسواد ، مما يدلّ على أنه إنما قصد بالسودان الشعب لاغيره .

يؤيّد ذلك أنه قال فى كتاب آخر عنهم : ومدينتهم العظمى دنقلة .. وأهْلُها أحسن السودان وجوهًا (١٠٠).. أترى يحق له وصف وجوههم بالجمال وهو لا يقصدهم وإنما يقصد أرضهم .

ق - ابن تغرى :

كتب ابن تغرى (المتوفى سنة ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) ما يلى: ثم أرسل عبد الله

---

٩٨ - المقريزى : الإلمام بأخْبار مَنْ بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ص ٢١ .

٩٩ - ابن الوردى : تأريخ ابن الوردى جـ ١ ص ٨٤ .

١٠٠ - ابن الوردى : خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص ٤٦ .

جيشًا إلى السودان فغنموا وظفروا ، وعادوا [١٠١] .. وقال : فعنْد ذلك تيقنت السودان أن المدد لا ينقطع عنهم من وجهة الشمال فصمَّموا على محاربتهم ، ودنوا إليهم فى أمم لاتحصى ، فلما نظر محمد إلى السودان التى أقبلت عليْه ، انتزع جميع ما كان فى رقاب عساكره من الأجراس فعلّقها فى أعناق خيوله .. [١٠٢] وأضاف : ثم حمل بعساكره على السودان .. حتى خُيِّل للسودان أن السماء انطبقت على الأرض [١٠٣] .

لا أخالنى فى حاجةٍ لأن أدلّل أنّ ابن تغرى بالرغم من تأخُّره فى الزمن على كل مَنْ سبقوه، ظلّ مفهوم اللفظ عنده ثابتًا غير متغير ، إذْ أنّ كتابته تدلّ على ذلك ، واستعمال اللفظ يكشف مدلوله عنده ، فهو قد اعتبر السودان أمة تُرْسَل الجيوش لمحاربتها ، وتملأ الزكائب من غنائمها ، وهو حينما تكلم عن تلك الأمة نفسها وصف إحْجامها عن قتال الدخلاء ثم تصميمها على محاربتهم ، وجمع المقاتلين للوقوف فى مواجهتهم ، ومعلوم أنه لا يحجم عن القتال أو يفكر فيه من ليس بعاقل .. أضف إلى ذلك أن زعيم خصومهم حين انتزع الأجراس من رقاب عساكره ، فعلقها على خيولهم بُهت السودان لهذا الاضطراب المفاجىء وتلك الزعزعة التى ألمت بصفوفهم ولا يُذعر من شىء ويخاف منه - إلا مَن كان يملك الشعور الذى يُملى عليه ذلك والأرض ليست مما يشعر حتى يمكن أن نفترض أنه إنما قصدها بذلك .

حدود السودان اللغوية

كان من الطبيعى وقد اتسع مفهوم السودان عند الأوائل فشمل كل أسود- أن تتّسع كذلك حدوده فتشمل كل بلد يقطنه السودان سواء أكان ذلك فى داخل إفريقيا ، أم خارجها .. بل إن كثرة السود وانتشارهم فى أقطار العالم جعل بعض المؤرخين العرب يوسع رقعة حدود السودان بما يشمل الهند والسند والصين ، وغيرها .. وبالغ آخرون فجعلوا حدود السودان مسيرة سبع سنين ، وقارن هذا البعض بين حدود السودان وحدود مصر ، فجعل الأخيرة جزءاً واحداً من ستين جزءاً من الأولى وكأنّه بذلك

١٠١ - ابن تغرى : النجوم الزاهرة فى مصر والقاهرة جـ ١ ص ٢٦٦ .
١٠٢ - نفسه جـ ٢ ص ٢٩٨ .
١٠٣ - نفس المرجع والصفحة .

قصر مصر على الأماكن التى يقطنها غير السود من السكّان ، على أنّه إن كان هذا أو ذاك فلا شكّ أن حدود السودان سابقًا ، لم تكن مقصورة على الحدود الحاليّة التى حددتْها اتفاقية سنة ١٣١٧هـ / ١٨٩٩ م ، ولا على تلك التى كانت فى عصْر إسماعيل ، والتى حدد الدكتور محمد صبرى رقعتها بما يشمل إريتريا والصومال بشقّيه وأوغنده وجزءاً كبيراً من الكنغو[١٠٤] .

وحتى يتضح للقارىء مفهوم المؤرّخين الأوائل عن حدود السودان فسأورد فيما يلى بعض النصوص التى توضح المراد .

يقول ابن الفقيه : وأرض السودان مسيرة سبع سنين ، فما فضل عنهم من مائها صار إلى مصر ، وأرض مصر جزء من ستين جزءاً من أرض السودان ، وأرض السودان جزء من ستين جزءاً من الأرض [١٠٥] .

أترى ماذا يعنى ابن الفقيه بما كتب ؟! .

أمامنَا بعض الافتراضات التى يُمكننا عن طريقها تحديد قصْده وتبيين غرضه .

١ - الافتراض الأول :

أن يريد الكاتب بما كتب أرض السودان الحاليّة .. وهذا غير مستقيم للأسباب الآتية :

أ / إن الماء لاينبع من أرض السودان حسب حدودها الحالية ، وإنّما ينبع من بحيرتى (فكتوريا) [١٠٦] (وتانا) [١٠٧] اللتين تقعان خارج حدود السودان الحاليّة .

ب / إنّ أرض مصر ليْست جزءاً من ستّين

---

١٠٤ - انظر أطلس الإمبراطورية السودانية للدكتور محمد صبرى خرطة رقم (١) وراجع عن الاتفاقيات الخاصة بالحدود ، الجواهر الحسان فى تأريخ الحبشان ص ٢٩/٢٨ .

١٠٥ - ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٥٩ .

١٠٦ - تعتبر بحيرة فكتوريا أكبر بحيرات الدنيا إذ تبلغ مساحتها ٦٩٠٠ ك . م٢ (٦٨٢٨ ميلاً مربعا) ويعلو سطحها على سطح البحر بنحو ١١٣٥ متراً وكانت قبلا تسمى باسم أو كروى Ükerewe وهو اسم لجزيرة منها تتبع تنجانيقا (راجع نهر النيل لمحمد عوض محمد ص ٣٨/٣٦) .

١٠٧ - يبلغ مستوى بحيرة تانا ١٨٤٠ متراً فوق سطح البحر ومساحتها ٣٠٦٠ ك . م٢ .. والنيل الأزرق بوجه عام نهر جبلى شديد الانحدار فى كل مجراه من بحيرة تانا إلى الخرطوم .. هذا وحيث إن مستوى بحيرة تانا ١٨٤٠ م ومستوى الخرطوم أقل من ٤٠٠ متر فوق سطح البحر فإن انحدار النهر يبلغ إذن ١٤٤٠ متراً فى مساحته ١٦٢٢ ك م ، وأكثر مايكون هذا الانحدار فى الشطر الأعلى للنهر ما بين منابعه وبين بلدة الروصيرص التى تعلو عن سطح البحر ٤٦٦ متراً وعلى هذا فالانحدار فيما بعد الروصيرص ضعيف (راجع نهر النيل لمحمد عوض محمد ص ١٠٧/١٠٠) .

جزءاً من أرض السودان .. وأرض السودان وإن كانت تفوق أرض مصر مساحة إلا أنها برغم ذلك لا ترتقى إلى تلك المساحة كما لا تدنو تلك إلى هذا المستوى .

ج / إن أرض السودان الحالية ليست جزءاً من ستّين جزءاً من الأرض بل هى دون ذلك بكثير .

د / اتساع مساحة السودان مهما بلغت لايُساوى اجْتيازها سبع سنين ، ذلك أنه يمكن للشخص أن يعبرها - ولو راجلاً فى مدة أقل من ذلك بكثير .

٢ / الافتراض الثانى :

أن يريد الكاتب بما كتب نفس ماأراده معاصره ابن خرداذبة حين قال : ووجدت أرض الحبشة والسودان مسيرة سبع سنين ،فأرض مصر جزء من أرض السودان ، وأرض السودان جزء واحد من ستّين جزءاً من الأرض كلها .

فإنْ صحّ هذا وكان المراد بأرض السودان ما يشمل أرض السودان ، والحبش فيكون ابن الفقيه إنما اقتصر فى نصه على كلمة « السودان» لشمولها لمن هم أشد سواداً كالحبشة ومن هم دونهم من السواد كالآخرين ، إذ السودان كما هو معلوم لفظ أكثر عمومًا من لفظ الحبش لا نحصار الأخير وانفراج دائرة الأول .

ولكن حتى هذا القصد لا يخلو من نَقد ، ولا يَسْلم من طعن إذ يمكن تسديد نفس السِّهام التى أودت ببقاء القصد الأول إليه .

٣/ الافتراض الثالث :

أن يريد الكاتب بما كتب إفريقيا بأسرها والقارة بأجمعها .. وهو وإن كان أوسع دائرة مما ذكرناه إلا أنه ما يزال دون الحقيقة بكثير ، إذ لاتبلغ مساحة هذه القارة مبلغًا يضطر المجتاز لها إلى قضاء سبع سنين بداخلها .

٤- الافتراض الرابع :

أن يريد الكاتب بماكتبه ما أراده الجاحظ حين قال : والسودان يعدون الزنج والحبشة ، وفزان ، وبربر ، والقبط ، والنوبة ، وزغاوة ، والسند ، والهند ، والدبيلا ، والصين ، وما صببت ، وجزائر البحر ما بين الصين والزنج

مملؤة سودان كسر نديب وكله ، وأمل ، وزايع ، وجزائرها إلى الهند ، إلى الصّين ، إلى كابل ، وتلك السواحل (١٠٨).. وكذلك بعض قبائل العرب (١٠٩) .. وهو قصد نسلّم به واتجاه نرتضيه لسلامته من الطعن وخُلوّه مما يُوجب النقد .

فمفهوم السودان إذن عند العرب يتّسع لكل ما ذكرنا واسمه يضم جميع ما قلنا لايختص ببلد دون بلد ، ولا بمنطقة دون أخرى (١١٠) ، هذا ولئن انعتقت مصر أخيراً من دائرته وصار اللفظ مقصوراً على مَنْ يقعون جنوبها .. فلايعنى هذا أنّها لم تكن من قبلُ داخل حلقته ، إذ السودان كما قلنا كان يشمل فيما يشمل الأقباط وهم ساكنو مصر ، ومعمِّروها ، علما بأنّ اللفظ صارتْ دائرته تُسقط واحداً إثر واحد وجزءاً بعد جزء حتى أصبحت أضْيق مما كانت عليْه بكثير ، وصار الشعب أقلّ عددا مما كان عليه سابقًا .. أحب أن أخْلص مما سبق بأن لفظ السودان والحبش وإثيوبيا وكوش لم يُستعمل فيما مَضى اسما لسودان وادى النيل ولاعلمًا على هذا القطر المعروف باسم جمهورية السودان وإنما كان استعمالها محدوداً على الشعب ومقصوراً عليه .

أسماء السُودان

تسمّى السودان خلال تأريخه القديم بأسماء ذات مدلول غير محدّد أحيانًا ، وضيّق جداً أحيانًا أخرى .. من ذلك مثلاً :

١- **ارض السود :** وهى إشارة إلى من كان يسكن الأرض من ذوى السحنة السوداء . وتشمل فيما تشمل أرض النوبه وما يحادها جنوبا حتى البحر الأحمر .(١١١)

---

١٠٨ - الجاحظ فخر السودان على البيضان ص ٧٦ .

١٠٩ - الجاحظ فخر السودان على البيضان ص (٧٨) وفى (٧٠) من نفس المرجع يتكلم الجاحظ عن مفهوم السودان عند العرب فيقول : والسود عند العرب فيقول : والسود عند العرب الخضر ويستدل على ذلك بقول شماخ بن ضرار :

وراجت رواجًا من زرود فنازعت * زبالة جلبابا من الليل أخضرا

ويضيف قال الراجز :

حتى انتضانى الصبح من ليل خضر * مثل انتضاء البطل السيف الذكر

ويقول : وهم يصهرون الحديد أخضر لأنه صلب لأن الأخضر أسود ، وهذا الصنيع من الجاحظ .

١١٠ - أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ٢٤١ ، ومسالك الممالك ص ١١/١٠ ومختصر كتاب البلدان ص ٦٠/٥٩ ، والمسالك والممالك لابن خرداذبة ص ٩٣ ، وفخر السودان على البيضان ص ٧٧ .

١١١ - السودان بين الوصفية والاسمية لحسن الفاتح .

٢- **تانهسو** : أو تانحسو .. ومعناها أيْضاً أرض السود (١١٢) ، وهى تشمل كسابقتها السودان الحالى وما جاوره شمالاًحتى نهاية أرض النوبة ، وجنوبًا حتى نهاية أرض الحبشة ، على أن مفهومها أحيانًا يضيق فينحصر فى الجزء الواقع جنوب مصر مباشرة (١١٣).

٣- **الواوات** : وهى اسم عُنى به الحال فصار علمًا للمحل ، ويقصد به القبائل التى كانت تقطن بين الشّلالين الأوّل والثانى ، وهى المنطقة التى تقع ما بين أسوان ووادى حلفا .. علمًا بأن بعض سكان الواوات من النوبيين هاجروا مؤخرا من موطنهم الأصلى واستقروا بإقليمى لاستا وأجوميدر الواقعين حاليا بأرض الحبشة ، وعرف جنسهم بين الأهالى بأجو (أى الأحرار) . (١١٤)

٤-**مازوى** : وهو اسم أريد به الحال فصار علمًا على المحل ويقصد به القبائل التى تسكن بين الشّلال الثانى وملتقى النيلين الأزرق والأبيض ، وهى قبائل كانت تمد الجيش المصرى بمختلف الإمدادات فى العصور المختلفة .

٥- **يام**: وهو اسم أريد به كذلك الحال فصار علمًا على المحل ويقصد به القبائل التى كانت تسكن بالقرب من مازوى وقد يقصد به البلاد الواقعة غرب بلاد كوش على أن البعض اعتبرها اسمًا قديمًا لكردفان أو دار فور . (١١٥)

٦- **الارنت والسنحتوت** : وهو اسم أريد به كذلك الحال فأصبح علمًا بالغلبة على المحل ، ويقصد به القبائل التى كانت تقطن الجهة الغربية لوادى النيل بين (مازوى) و (يام) جنوبًا و (الواوات) شمالاً . (١١٦)

٧- **كوش**: وهولفظ عبرى معناه السواد ، وبه كان يسمّى كوش بن حام أخو مصرايم ، وفوط ، ونعمان. وبنوكوش هم سبا ، وحويلية ، وسبتة ، ورعمة ، وسبنكا (١١٧).. وله من الأولاد كذلك مايأتى :

---

١١٢ - دراسات للبروفسير يوسف فضل جـ ٢ ص ١١٣ .
١١٣ - دراسات فى تاريخ السودان للبروفسور يوسف فضل جـ ٢ ص ١١٣ .
١١٤ - الجواهر الحسان ص ٣ .
١١٥ - دراسات فى تاريخ السودان للبروفسور يوسف فضل جـ ٢ ص ١١٣ ونهر النيل لمحمد عوض محمد ص ٧/٦ .
١١٦ - السودان بين الوصفية والاسمية للدكتور حسن الفاتح وهو بحث منشور بمجلة الثقافة السودانية السنة الرابعة العدد السادس عشر ديسمبر ١٩٨٠ م ص ٥٩/٤٦ .
١١٧ - العهد القديم : سفر التكوين الإصحاح العاشر .

١ / نوبة والد أمم النوبة .

٢ / زنج والد أمم الزنج ، ووالد برابرة السودان ، وفزان ، وزغاوة .

٣ / حبش والد أمم الحبش بجميع أجناسهم (١١٨)

ورد اسم (كوش) أوّل ماورد على لوْح (بوهين) الذى يرجع تأريخه إلى السنة الثامنة من حكم سيزوستريس .. وجاء فى لوْحَيْنِ لكاموس : أن بلاد كوش كانت تحت الحكم النوبى ، وأن حاكم النوبة آنذاك كان من القوة والسطوة والمتعة بحيث علا ذكره وارتفع صيته (١١٩)

أما حدود دولة (كوش) ذات التأريخ العريق فكانت تنفرج وتضيق حسب قوة البلاد وضَعفها ، علمًا بأنه بيْنما كانت كوش حتى عصر البعثة التوبية تمتد إلى نهاية حدود إفريقيا جنوبًا وإلى مابعد خط ٣٠ شمالاً - كانت مصر تنحصر فيما بين مدار السرطان جنوبًا وبحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) شمالاً ، وبحر القلزم (البحر الأحمر) شرقًا ، وخط طول ٣٠ غربًا (١٢٠) وعلى كل فقد كانت (كوش) هى الجارة الجنوبية لمصر وكانت النّصوص التّواتية كثيراً ماتربط بيْنها وبين مصر أو (مصرايم) .. وكان على رأس بلاد (كوش) ملك نوبى كان حتى فى عصور ضَعْف بلاده يعتبر مساوياً لفراعنة مصر (١٢١)

أما أهل كوش فيرجح البعض أنّهم فرع من الكوشيين الساميين (١٢٢) ممن نزحوا من

---

١١٨ - الجواهر الحسان ص ٣٦ وفيه أن مما يؤكد نسبة الأمم إلى أجدادهم أن ياء النسبة تلحق بهم عند الإضافة فيقال حبشى وحبشية ومثلها نوبى ونوبية ، وزنجى وزنجية .

١١٩ - مصطفى عبده : أثر العقيدة فى منهج الفن الإسلامى ص ٦٦ .

١٢٠ - الدكتور حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام ص ٤٤ خريطة رقم ٢٨ صورة مرفقة - طبع القاهرة سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٧٧ م وراجع نهر النيل لمحمد عوض محمد ص ٦ .

١٢١ - أثر العقيدة فى منْهج الفن الإسلامى لمصطفى عبده ص ٦٦ ، وراجع كتاب التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٩١ .

١٢٢ - أ . ل . شلوزر كان هو أول من استخدم تعبير السامية لوصف الشعوب ذات العلاقة بالعبرانيين والتعبير مأخوذ عن اسم سام (شم بالعبرية) ابن نوح وهو الجد المزعوم للعبريين ولأقوام أخر ذكرتهم التوراة ، وتتحدث التوراة عن شعوب انحدرت من سام دون أن تصفها بالسامية (راجع التوراة جاءت من جزيرة العرب (هامش ص ٢٩) .

أراضيهم الأصلية باليمن قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة (أى ثلاثة آلاف وستمائة واثنين وعشرين سنة قبل الهجرة النبوية) واستقروا بأراضى نبته ومروى بالقرب من سنار (١٢٣) .

٨ - **الحبشة** : وهو اسم كان يطلق قديمًا على جميع القارة الأفريقية باستثناء شريط ساحلى ضعيف لم يكن يتعدى فى أقصى توسّع له قبل البعثة النبوية - حدود بنى غازى (سيريناىكا) غربًا وبحر القلزم ومدار السرطان جنوبا (١٢٤)

علماً بأنّ نفس اللفظ ظل يُطلق إلى ما بعد سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م على كل من النوبة والبجة والدمادم . والزنج والتكرور ، وعن ذلك يقول أبو الفداء فى كتابه المختصر فى أخبار البشر تحت عنوان ذكر اسم أمم السودان ما يلى : فمن أعظم أممهم الحبش وبلادهم تقابل الحجاز ومن أسمائهم النوبة ، والبجة ، والدمادم ، والزنج ، والتكرور (١٢٥) ويقول القزوينى فى كتابه أخبار البلاد مانصه .. البجة بلاد متصلة بأعلى عيذاب فى غربٍ منه أهْلُها صنفٌ من الحبش (١٢٦) .

٩ - **السودان** : لم يكن لفظ السودان معروفًا أو مستخدمًا قبل التوسع العربى وانتشار القبائل العربية فى مساحات كبيرة من إفريقية بعيداً عن أوطانهم فى شبه الجزيرة العربية شمال النطاق الصحراوى المعروف باسم الصحراء الأفريقية الكبرى ، وهذا إن دلّ على شىء فإنما يدل على : أنّ كلمة (سودان) عربية أصيلة أطلقها العرب على كل الأراضى الأفريقية فيما وراء الصّحراء الكبرى جنوبًا والتى تمتد من أقصى الغرب الذى يشرف على المحيط الأطلنطى (الظلمات) إلى أقصى الشرق الذى يطل على ساحل البحر الأحمر أو ينتهى عند السفوح المنخفضة الحبشية .

---

١٢٣ - الجواهر الحسان فى تاريخ الحبشان ص ٦/٥ ، هذا وجاء فى (و) أورد بعض الكتاب أن لفظ (كوش) العبرى كان قد عرب إلى لفظ (كوثه) فى منطقة جيزان أو الأودية الداخلية لشبه الجزيرة العربية وذلك بقلب الشين ثاء وكان نفس الاسم بعد تعريبه معروفاً فى الأماكن المجاورة لخميس مشيط . بمنطقة عسير وببلدة (كوثه) أو (كوش) سكن سيدنا إبراهيم الخليل راجع صفحات ٢٧٤/٩٤/٨٢/٢٤/١٨ من كتاب التوراة جاءت من جزيرة العرب لكمال سليمان الصليبى الطبعة الثالثة نشر مؤسسة الأبحاث العربية - كانون الأول سنة ١٩٨٦ م .

١٢٥ - المختصر فى أخبار البشر ج ١ ص ٩٥ .

١٢٦ - أخبار البلاد للقزوينى وجغرافية وتأريخ السودان ص ٣٦٧ .

أما استخدام لفظ السودان للتعبير عن مدلول سياسى وكيان معين يضمُّ مساحات معيّنة فى قلب النِّيل الأوسط وروافده فلا يرجع إلى أبعد من أوائل القرن التاسع عشر الميلادى بعد ما دخلت هذه المساحات فى نطاق الإمبراطورية المصرية ويعنى ذلك أن التوسع المصرى فى سنة ١٨٢١م أدّى إلى استخدام تعبير الأقاليم السودانية للتعبير عن كل المساحات التى خَضعت للحكم المصرى .. ومع ذلك فإن كلمة السودان لم تستخدم كتعبيرٍ مطلقٍ له مدلوله السِّياسى للدلالة على الأراضى التى تقع جنوب مصر ولها حدود معيّنة مرسومة محدودة إلا فى بداية الحكم الثانى سنة ١٨٩٩م / ١٣١٧هـ . (١٢٧)

١٠ - **مملكة نوباتيا :** ومعناها بلاد النوبة وهو الاسم الرومانى الذى اشتهر به الجزء الشمالى من السودان لفترة طويلة ، ويضم حوض النيل من أسوان وحتّى الشّلال الثالث . (١٢٨)

١١ / **نبته :** ومكانها عند جبل البركل قرب الشّلال الرابع ، وهى تمثل إحدى عاصمتى إثيوبيا السّفْلى .

١٢ - **مروى :** ومكانها عند البجراوية فى رأس مروى . (١٢٩)

١٣ - **دولة الفونج :** أو مملكة سنار .. وقد امتدت شوكتها من الشلال الثالث إلى جبال فازوغلى شمالاً وجنوباً ، ومن سواكن ومصوّع علِى البحر الأحمر إلى النيل الأبيض شرقاً وغرباً ... (١٣٠) هذا وقد دامت هذه المملكة ٣٢٦ عاماً إذ أنْشئتْ فى سنة ٩١٠هـ / ١٥٠٥م وزالت فى سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م .

١٤ - **مملكة الفور :** أو سلطنة الفور . (١٣١)

١٥ - **مملكة تقلى :** وهو اسم لإحدى ممالك السودان . (١٣٢)

---

١٢٧ - الموانىء السودانية للدكتور صلاح الدين الشامى ص ٦/٥ نشر مكتبة مصر طبع دار الطباعة الحديثة سنة ١٩٦١م .

١٢٨ - دراسات فى تأريخ السودان وإفريقيا ج ٢ ص ١١٣ .

١٢٩ - شقير : جغرافية وتاريخ السودان ص ١٠٣ .

١٣٠ - راجع عن تاريخها : شقير : جغرافية وتأريخ السودان ص ٣٨٠/٣٨٨ فما بعدها ، ودراسات فى تاريخ السودان وأفريقيا للبروفسير يوسف فضل ج ٢ ص ٤٥ فما بعدها طبع ١٩٨٩ م .

١٣١ شقير : جغرافية وتاريخ السودان ص ٤٤١ فما بعدها ودراسات للبروفسير يوسف فضل ج ٢ ص ١١٣ .

١٣٢ - دراسات ليوسف فضل ج ٢ ص ١١٣ .

١٦ - **مملكة المقرة** : وكانت تضم المنْطقة من الحدود الجنوبية لمملكة نوباتيا وحتى ملتقى النيلين ، والجزء الأعظم من وشمال كردفان .

١٧ - **مملكة علوة** : وكانت تضمُّ منطقة الجزيرة ومنطقة البطانة شمال وأواسط كردفان ودارفور ، وقد سميت هذه المملكة فى بعض الوثائق القبّطية بمملكة الحبشة . (١٣٣)

١٨ - **بلاد البوانيت** : وهو اسم أطلق على البلاد الواقعة على الساحل الجنوبى للبحر الأحمر (١٣٤) على أنه مَا يُذكر هنا أن أهالى هذه البلاد كانوا أقدم من المصريين فى ممارسة الملاحة والاشتغال بالوساطة التجارية فى البحر الأحمر . (١٣٥)

١٩ - **المريس** : وهو اسم استعمله العرب للدلالة على بلاد السود . (١٣٦)

٢٠ / **إثيوبيا** : أو إيثيوبس وهو اسم كان يُطلقه اليونانيون على عموم سكان أفريقيا (١٣٧) وعلى الأخص على سكان ما كان بين النِّيل الأعلى وصحراء ليبيا وسواحل البحر الأحمر منها - على أن المؤرخ (هومر) عمّم إطلاقه على سكان ما بين (ابتداء آخر الشرق) إلى (آخر الغرب) ويستفاد مما كتبه كل من (هيرودث) و (بلين) .. أن اللفظ عند الأول مقصور على سكان النّيل الأعلا فقط وهو عند الثانى يطلق على سكان النيل الأوسط والأزرق والنوبة والحبشة .

هذا وقد انقسمت إثيوبيا قديماً إلى قسمين :

أحدهما : إثيوبيا العليا التى عرفت فيما بعد بالحبشة ثم إثيوبيا .

ثانيهما : إثيوبيا السّفلى وتعرف الآن بالسودان أو بجمهورية السودان .

وكان للأخيرة عاصمتان إحداهما نبته .. والأخرى مروى .

وقد عاصرت إثيوبيا السّفلى كلا من الفراعنة ،

---

١٣٣ - تاريخ المسيحية ص

١٣٤ - شقير : جغرافية وتاريخ السودان ص ٢٩٩ ونهر النيل ص ٧ .

١٣٥ - موانىء السودان ص ١٥/١٦ .

١٣٦ - دراسات للبروفسير يوسف فضل ج ٢ ص ١١٣ .

والفـرس ، والبطالسـة ، والرومـان ، وبقـيت معـروفـة بهـذا الاسـم إلـى سنـة ١٩هـ / ٦٤٠م وهـى السنة التى زالت فـيـهـا دولـة الرومان . (١٣٨)

أشهر عواصم السُودان :

كانت عاصـمة السـودان بمفهـومه السـابق تنتـقل من جـهـة إلى جـهـة بحـسب تنقـلات الحكـومـة (١٣٩) علمـاً بـأن أشـهـر البـلاد التـى اتخـذت عـاصـمـة قـبل البعـثة النبـوية وبعدها هى :

١ - **سوبا :** وهى أقدم مدينة بالسودان حتى أنه ليزعم البعض أنـها من بنـاء سبأ بـن نـوح عليـه السـلام ويقولون : إنّ ثمت تشابهـا بينها وبين سبأ اليـمنيـة من حيث ولاية الملكات على العرش ، ونظام المعابد ، وطريـقة العبـادة قبل الإسـلام الأمـر الذى دعـاهم إلى أن يقـولوا إن تحريفاً مّا قد حدث فى الكلمة فحوّلها من سبأ الى سوبا .. على أنه أيّا كان الأمر فإن أهالى مملكة النوبة العليـا أو علوة اتخـذوا من سـوبا المذكـورة عـاصـمـةً لمملكتـهم وعُنوا بهـا عـناية فـائقـة حتى أنهم أشادوا بهـا المبانى الجـميلة ، والكنائس ، والمعـابد الفـخـمـة التى بنيت على طراز نبتا والنقعه ..

هذا وقد ظلت سوبا المذكورة أعلاه عاصمة عـامرة حـتى خـربهـا الفونج وذهب تدمـيـرها وخرابها مثلاً يجرى على لسان السودانيين حتى اليوم (١٤٠)

٢ - **قـــرى :** وكـانـت عـاصـمـة لمشيخـة (العـبْـدَلاب) .. وقـد بلغت أوْج مـجـدها وقـوتهـا فى عـهـد الشـيخ عـجيب المنجلك الذى تميز عصره بالفتوحات . (١٤١)

٣ - **حلفاية الملوك :** (١٤٢) وهى العاصمة البديلة للعاصمـة (قرى) وكـان قـد أنشأها فى سنة ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م الشـيخ عـجـيب الثـالث ، وظلت عاصمة للعبْدَلاب حتى مجىء الترك .. وفى عـهـد الأخـيـرين تحالف مـعـهم الشـايقـيـة

---

١٣٩ - الجواهر الحسان فى تاريخ الحبشان ص ح .

١٤٠ - جغرافية وتاريخ السودان لشقير ص ١١١ ، وتاريخ الخرطوم ص ٩ وتاريخ الثقافة ص ٩ .

١٤١ - تاريخ الخرطوم ص ١٠ وجاء فى ص ٥ من نفس الكتـاب أن الخرطوم ورثت مجد سوبا وقرى فجعلت عاصمة للسودان الحديث .

١٤٢ - لفظ الحلفايا كان ينصرف إلى إقليم واسع ولم يكن اسم موضع بعينّه فى هذه الجـهـة راجع تاريخ الخرطوم ص ١٧٢ ، أما حلفايا الملوك التى عرفت بهذا الاسم فكانت عاصمة لمشيخة العبْدَلاب فى أواخر العهد الفونجى .

منافسو العبْدَلاب ومناوئوهم فانتصر لهم الأتراك وأقاموا منهم حامية للشايقية قوامها [٤٠٠] رجل تحت قيادة سنجك منهم فاستسلم لهم دون مقاومة الشيخ ناصر الأمين شيخ العبْدَلاب على أنه لما قَتَل الملك نمر إسماعيل باشا فى العام التالى ، وعمت الثورة الأقاليم الشمالية قام الشيخ الأمين بن الشيخ ناصر الأمين على رأس قوة من أهله وهجم على الحامية وقضى عليها قضاءً مبرماً الأمر الذى أغضب الأتراك فأصابوا العبْدَ لاب وضربوهم دون رحمة وصادروا أراضيهم فى الحلفاية وقرى ، وأقطعوها لحلفائهم الشايقية فازداد بذلك نفوذ الأخيرين وكوّنوا قوةً وعصبيةً . (١٤٣)

علماً بأنّ محمد أغا القبوجى باشى كبير الحجّاب بالسودان فى عصر محمد على كان قد أحضر أخيراً شيخ العبْدلاب ومنحه الأمان وأجلسه فى مكانه حاكماً ومنحه لقب ملك (١٤٤) فظلّت حلفاية الملوك لهذا السبب عاصمةً للإقليم واحتفظت بأهميتها لفترة من الزمن طغتْ فيه خلالها أهمية الخرطوم بحرى عليها فتضاءل دورها وانخفضت مكانتها . (١٤٥)

٤ - **مدنى** : أو ولد مدنى وقد تمّ اختيارها عاصمةً للسودان بديلاً عن سنار فى حوالى سنة ١٢٣٧هـ / ١٨٢١م (١٤٦) بناء على توجيه فى ذلك أصدره محمد على باشا .

٥ - **الخرطوم** : وقد اختيرت عاصمة للبلاد فى حوالى سنة ١٢٤٠هـ / ١٨٢٤م تنفيذاً لتوجيه فى ذلك أصدره محمد على باشا إلى عثمان بك فى ١٦ / ديسمبر ١٨٢٤م (١٤٧) وقد تلا ذلك بناء معسكر لجيش عثمان بك

---

١٤٣ - تاريخ الخرطوم للبروفسير محمد إبراهيم أبو سليم ص ١١/١٠ طبع دار الجيل بيروت سنة ١٣٩٩ هـ .
١٤٤ - تاريخ الخرطوم ص ٢١ .
١٤٥ - تاريخ الخرطوم ص ١٧٣ .
١٤٦ - تاريخ الخرطوم ص ٢١/١٦/١٥ .
١٤٧ - تاريخ الخرطوم ص ٢٥ هذا وكانت تقع ضمن حدود السودان بلدة أخرى تحمل نفس الاسم (خرطوم) وهى قرية تابعة لكلابشة تجاه جزيرة دارموت الواقعة على مقربة من المعبد الذى يسميه الأهالى بيت الوالى راجع رحلات بوركهات ص ١٠٦ .

أعقبه عمل جاد فى تعمير الخرطوم تبنّاه محوبك الذى أطلق اسمه على منطقة الشجرة الواقعة جنوب الخرطوم [١٤٨] ثم جاء خورشيد باشا وحل محل محو بك فعمل على توسيع الخرطوم وكان قد بنى بها مسجداً فى سنة ١٢٤٥هـ /١٨٢٩م ، وقام بتوسيعه فى سنة ١٢٥٣هـ /١٨٣٧م .. [١٤٩] ونقل إليها كل دواوين الحكومة فى سنة ١٢٤٦ هـ/ ١٨٣٠ م [١٥٠] على أن الخرطوم تلبث أن أخليت من كلٍّ سكانها وهجرت حين سقطت فى يد الدولة المهدية فى سنة ١٣٠٣ هـ/١٨٥٨م ، ولم تعد إليها الحياة ويعمها الازدهار إلا بعد احتلال الأوربيين للسودان وقضائهم المبرم على أم درمان واجهة التحدى الأفريقى للتوغل الأوربى ، وذلك فى سنة ١٣١٦ هـ/١٨٩٨م .

١٦ - **أم درمان :** وقد عرفت بهذا الاسم فى عصر العنج السابق لعصر الفونج حيث قالوا إن بنتا لأحد ملوك العنج كانت تسكن بها ولها ولد اسمته (درمان) فنسبت البلدة إليها وصارت تعرف باسمها الحالى (أم درمان) [١٥١] ..على أنه أيا كان السبب فمن المؤكد أن شأن أم درمان اضمحل بعد عصر الفونج ، حتى لقد صارت حلة صغيرة [١٥٢] أقام بها خورشيد باشا عدة أيام قبل أن يستقر بالخرطوم . [١٥٣]

وفى سنة ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٥ م بدأت أم درمان فى الازدهار بعد أن اختارها الإمام المهدى معسكراً له للهجرة [١٥٤] .وأعاد لها اسم البقعة المباركة الذى سبق أن أطلقه عليها الشيخ أحمد الطيب بن البشير جَد الأستاذ / محمد شريف شيخ الإمام المهدى . [١٥٥]

مفضلاً لها بذلك على مدينة الخرطوم ، الأمر

---

١٤٨ - كان محوبك قد عسكر تحت شجرة عرفت من قبلُ باسم شجرة النقارة وعرفت فيما بعد باسم شجرة غردون وتجاهل الناس حالياً ما التصق بالشجرة من أسماء وصاروا يطلقون عليها اسم الشجرة فقط تاريخ الخرطوم ص ١٦/١٧

١٤٩ - تاريخ الخرطوم ص ١٧ علما بأن شقير قال فى كتابه عن نفس المسجد مايلى وضع حجر الأساس لجامعها فى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٠٠ م وسيتم بناؤه فى أواسط السنة الآتية راجع ص ١٣٤٩ جغرافية وتاريخ السودان .

١٥٠ - تأريخ الخرطوم ص ٢٦

١٥١ - تأريخ الخرطوم ص ٨٤

١٥٤ - تأريخ الخرطوم ص ٨٣

١٥٥ - سميت بالبقعة المباركة والبقعة الطاهرة وبدار الهجرة وبدار الفلاح وبمركز الإرشاد وبأمدرامان .. راجع تاريخ الخرطوم ص ٨٥ وراجع مقالا عن أم درمان بين التأصيل والتأهيل للأستاذ الطيب محمد الطيب ، نشر فى جريدة السودان الحديث بالسودان العدد ٩٤٧ بتاريخ الجمعة ١٥ صفر سنة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢/٨/١٤ م .

الذى سار على منواله فيه الخليفة عبد الله إذ ورد أنه - وفى السنة المذكورة التى توفى فيها الإمام المهدى وأعقبه هو - كان قد أمر القاطنين فى الخرطوم بإخلاء المدينة والانتقال إلى أم درمان ، ولم يستثن من ذلك غير الأشراف الذين كلّفهم بطرد من تبقى من أهالى الخرطوم بها . (١٥٦)

ولاهتمام الإمام المهدى وخليفته بأم درمان اختار الأول بها فضاءً واسعاً أحاطه بالشوك ليكون للأمة مسجداً ، وقد استبدل خليفته بالشوك سوراً من الطوب الأحمر وضع أساسه فى يوم الأربعاء ٤ / ربيع الأول سنة ١٣٠٥ هـ /١٨٨٧م وفرغ منه فى يوم الأربعاء ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧ م (١٥٧) .

هذا وقد تعرضت أم درمان عاصمة البلاد لهجمة شرسة من الأوربيين وأعوانهم تسنى للسلاح فيها أن ينتصر على القوة والحق فسقطت أم درمان فى صباح الجمعة ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨م الموافق ١٣١٦ هـ وتم عقب ذلك تدمير المسجد الجامع وأحيل إلى ساحة لاستعراض الجيوش . (١٥٨)

٧ - **الخرطوم بحرى :** (١٥٩) وهى مدينة حديثة النشأة لم يكن لها وجود قبل بداية القرن الرابع عشر الهجرى العشرين الميلادى ، (١٦٠) وقد قامت على جزء من الموضع الذى كان يطلق عليه اسم الحلفايا ، ذلك أن المعروف تأريخيا أن لفظ الحلفايا كان قديما يطلق على إقليم واسع ، (١٦١) يعم شرق النيل وغربه حتى أنه ليذكر أن الشيخ أبو صالح بن الشيخ أحمد الطيب بن الشيخ البشير حين تحدث الكتّاب عن تاريخه وخلافته -

---

١٥٦ - تأريخ الخرطوم ص ٨١
١٥٧ - تأريخ الخرطوم ص ٩١
١٥٨ - تأريخ الخرطوم ص ١١٤
١٥٩ - تم افتتاح مسجد الخرطوم بحرى يوم الجمعة ١١/٣ ، وأقيم الحفل لبناء جامع الخرطوم بحرى فى الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة الثالث من نوفمبر سنة خمسين بعد التسعمائة والألف (١٩٥٠) م وذلك بالقرب من محطة الترام (سابقا) وأمام المجلس البلدى .
١٦٠ - تأريخ الخرطوم ص ١٧٢
١٦١ - تأريخ الخرطوم ص ١٧٢
١٦٢ - راجع التربية فى السودان للدكتور عبد العزيز عبد المجيد ص ١٧١/١٧٢/١٧٦ / وثيقة رقم ٣ ص ٢٠ بتأريخ ١٦ رجب .

(١٦٢) أشير إلى المنطقة ومكان المسجد الذى هو به بأنه يقع جهة الحلفاية (١٦٣) . وجاء ذلك بوضوح فى الدفتر رقم ١٢٥٧ صادر عرضحالات الداخلية بالوثيقة التركية رقم ٢ ص ٤ بتاريخ ٢٥ ربيع الآخرسنة ١٢٨٢ هـ . وبالدفتر رقم ٥٢٩ (معية عرضحالات) بالوثيقة التركية رقم ٣ صفحة ٢٧٣ بتاريخ ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ هـ وبالدفتر رقم ١٢٨٢هـ بالوثيقة التركية رقم ٣ ص ٢٠ بتاريخ ١٦ رجب سنة ١٢٨٦هـ (١٦٤) .

٨ - **دنقلة العجوز** : عاصمة النوبة السفلى .. أومملكة المقرة وقد فتحها المسلمون فى سنة ٧١٧ هـ / ١٣١٧م ثم دخلت فى حكم ملوك سنار وكان خاتمة مجدها غزو الشايقية لها فى أواخر القرن الثامن عشر للمسيح أوائل القرن الثالث عشر للهجرة ، وبعده أصبحت يبابا فأخنى عليها الذى أخنى على لُبَد .. علما بأنّ بها مقامات للصحابة أحدها - كماقيل - لسيدنا عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق .. مع أن المذكور مات بمكة أو على بعد عشر أميال منْها بموضع يقال له الحبّشى وذلك فى سنة ٥٣ هـ / ٦٧٣م كما ورد ذلك فى كتاب الاستيعاب لابن عبد البر (١٦٥) .

٩ - **دنقلة الجديدة** : عاصمة مديرية دنقلة وتوصف أحيانًا بالجديدة تميزاً لها عن دنقلا القديمة المذكورة وتسمى دنقلا الجديدة أيضًا بالأوردى أوالعرضى لأن إسماعيل باشا - بعد احتلال السودان - كان قد اختارها عاصمة للبلاد بدل دنقلة العجوز ووضع فيها أوردبا (أى فيْلقا من العساكر) فأطلق عليها اسم (الأوردى) وحرف إلى العرضى (١٦٦) .

١٠- **بربر** : وكانت عاصمة ذات شهرة وعلى الأخص فى عهد مملكة سنار وبعدها حين الغزو التركى للسودان وكانت مقر كرسى الميرفاب ، وقد سقطت فى يد جيش الإمام المهدى فى سنة ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م واحتلها الأوربيون وأعوانهم سنة ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م ، وكان قد سكنها الشيخ زين العابدين الأموى الشنقيطى القادرى وبها توفى ودفن سنة ١٢٨٣هـ / ١٨١٦م (١٦٧) .

---

١٦٤ - راجع الوثائق المذكورة مترجمة فى كتاب التربية فى السودان للدكتور عبد العزيز عبد المجيد ص ١٧١/١٧٢/١٧٦/ طبع المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٩٤٩ م وراجع تأريخ الخرطوم ص ٤١/٢٠٤

١٦٥ - جغرافية وتأريخ السودان لشقير ص ٩٩/١٠١ والاستيعاب ج٦ ص ٣٤/٣٥ رقم ١٣٩٤

١٦٦ - جغرافية وتأريخ السودان لشقير ص ٩٩

١٦٧ - جغرافية وتأريخ السودان ص ١٠٥

١١ - **شندى** : وكانت مركز مملكة الجعنيين وذات نشاط تجارى واسع فغدر بها وبأهلها الدفتردار فى فاتحة استعمار متمردى الأتراك للبلاد (١٦٨) .

١٢ - **سنار** : وهى من أشهر مدن السودان وأقدمها (١٦٩) وكانت مأهولة بالسكّان منذ زمن بعيد (١٧٠) .. وقد اتخذها الفونج فى سنة ٩١٠هـ / ١٥٠٤م عاصمة لدولتهم فسما نجمها وذاع صيتها فانْتسبَ أو نُسب إليها السكان (١٧١) وقصدها الناس من كل مكان (١٧٢) وأنْشىء لطلابها بمصر رواق خاص بهم عرف برواق السنارية ، وكان لعلمائها مكانة مرموقة فى العالم الإسلامى . إذا اتخذوهم مرجعًا فى بعض ما يكتبون من موضاعات فالشيخ أحمد الطيب بن بشير (المتوفى سنة ١٢٣٩هـ / ١٨٢٣م) كان شيخا لشيخ الشيخ محمد حقى النازلى (المتوفى سنة ١٣٠١هـ /١٨٨٣م) حيث أجازه فى خواص القافات ، وعن ذلك يقول النازلى فى كتابه خزينة الأسرار جليلة الأذكار ما يلى : اعلم أنّ هذه الآيات إذا قرئت كل واحدة منها مرة تكرر الأسماء المذكورة عقب كل واحدة منها ثلاث مرات مثلا : قيوم يرزق من يشاء القوة ثلاثا .. كذا. أجاز لى شيخى سليمان أدرنوى عن الشيخ أحمد السنّارى (١٧٣) ..وكان الشيخ محمد بن عثمان الصايغ السنّارى أستاذاً للشيخ صديق المدنى بن عمر خان تلميذ سيدى الشيخ محمد عبد الكريم السمان وعنه تلقى بعض معارفه حين زار أرض سنار .. (١٧٤)

هذا وكانت الكرامة التى ذكرها الشيخ صديق حين زيارته لأرض سنار ذات دلالة مفادها قوة الصلة بين أهالى سنار حكومة وشعبا وبين أهالى المدنية المنورة وإلا فما بالُ سلطان سنّار يبعث إلى الشيخ صديق أثناء وجوده بسنّار ويُكرم نزله ،ثم يبعث إليه غداة

١٦٨ - جغرافية وتأريخ السودان ص ١٠٦/١٠٧
١٦٩ - جغرافية وتأريخ السودان ص ١١٣
١٧٠ - كتاب الطبقات هامش ص ٣٩ سطر ٥ من رقم ١١
١٧١ - خزينة الأسرار للنّازلى ص ٧٥ . وفيه أشير إلى الشيخ أحمد الطيب بن البشير بأحمد السنارى .
١٧٢ - قطف أزهار المواهب اللدنية ص ١٨٥
١٧٣ - خزينة الأسرار ص ٧٥ طبع عيسى الحلبى بمصر .. علما بأن القافات مطبوعة بزيل حزب الأمان للشيخ أحمد الطيب .
١٧٤ - قطف أزهار المواهب الربانية من أفنان رياض النفحة القدسية للشيخ صديق بن عمر خان ص ز طبع دار الطباعة المحمدية سنة ١٣٩٣ هـ /١٩٧٣ م .

ذلك اليوم بأمامه الذى يصلّى به فيبلغه مانصُّه ..إن السلطان مابعث إليك إلا لتتوجه إلى الله ببركات أستاذكم (الشيخ محمد عبد الكريم السمان) فى نزول المطر فاسأل الله له فعسى ببركته أن يسقينا الغيث ويكون ذلك كرامة له .(١٧٥)

احتل متمردوا الأتراك سنار فى سنة ١٢٣٦هـ / ١٨٢٠م ..وجعلوها مركزا لمديرية سنار ، بل ومنفى لبعض من غضبوا عليهم من اللبنانيين وغيرهم ، ودامت فى يدهم حتى استردّها منهْم جيش الإمام المهدى سنة ١٣٠٣هـ /١٨٨٥م ..وبعدها خربت حتى لم يبق بها عام إعادة احتلالها سنة ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م إلامئذنة لمسجد كان قد بناه خورشيد بك بأمر من محمد على باشا .(١٧٦)

١٣- **فرص** : وهى عاصمة مملكة نوبا طيا أومملكة المريس الواقعة مابين الشلال الأول بأسوان حتّى آخر الشلال الثانى المعروف ببطن الحجر وبها أطلال مدينة قديمة يظن أنها من عهد الرومان (١٧٧) .

١٤ - **مروى** : التى تقع شمال كبوشيه عند قرية البجراوية وهى - كما هو معروف كانت عاصمة لدولة امتدت من الشلاّل الأول إلى أعالى النيل ، وكانت ذات حضارة كبيرة تمثلها الأهرامات والمعابد والعمارات والحفائر ، وظلّت ذات شأن حتى أسقطها الأكسوميون حوالى سنة ٣٥٠ م (١٧٨) .

١٥ - **نبته** : وهى عاصمة مملكة النوبة فى القرن الثامن قبل الميلاد ، وكان من أشد ملوكها الملك بعانخى الذى غزا مصر واستولى على السلطة فيها من سنة ١٣٣٥ قبل الهجرة ٧١٣ قبل الميلاد إلى سنة ١٢٨٧ قبل الهجرة ٦٦٠ قبل الميلاد ووطّد خلال حكمه لها صلات تجارية وسياسية مع عدد من دول العالم كان على رأسها سوريا وفلسطين حتى أن ملوك هذين القطرين اعتبروه صديقاً لهم وحاميا لبلادهم (١٧٩) .

---

١٧٥ - قطف أزهار المواهب الربانية ص ١٨٥ هذا وجاء فى نفس الكتاب الإشارة إلى بعض سكان سنار ممن التقى بهم المؤلف مثل الشيخ عبد الله بن بخيت الذى التقى به فى سنار ، والشيخ إبراهيم القولباوى الذى التقى به فى مكة راجع ص ١٨٥/١٨٩

١٧٦ - جغرافية وتأريخ السودان ص ١١٣/١١٤

١٧٧ - تأريخ المسيحية فى الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث للأب الدكتور ج . فانتنى طبع .

١٧٨ - جغرافية وتأريخ السودان لشقير .. وتأريخ السودان لمندور ص ٣٨

١٧٩ - تأريخ السودان لمندور ص ٣٠/٣٢ ، والجواهر الحسان ص ٦/٧

أراضى السودان التى كانت تعرف بذلك باسم كوش (١٨٠) أو باسم الحبشة أو إثيوبيا (١٨١) هذه الأراضى تعرضت لغزو أجْنبى قاده ضدها الملك (بى) الأول ثانى ملوك الدولة المصرية السادسة (سنة ٣٧٠٣ إلى ٣٥٠٠ ق . م (١٨٢) إذ يروى أنه أرسل قائده أونا (UNA) إلى جهات كورسكو (١٨٣) فتم له بذلك إخضاع المنطقة ودانت له بالولاء قبائل تلك الجهة .

وفى عهد الملك (متوسوفيس) وهو الملك الثانى عشر من ملوك الدولة المصرية السادسة - تم غزو السودان أو بلاد التوانيت مرة أخرى بقيادة القائد (هرخف) ، وأسروا فيمن أسروا منه بعض الأقزام ممن كانوا يحسنون رَقْص الآلهة (١٨٤) .

وفى أيّام الدولة المصرية الثانية عشرة (٣٠٦٤ - ٢٨٥١ ق . م) أعاد (أوسرتسن) الأول ثانى ملوك هذه الدولة غزو أراضى السودان فمد حدود مصر جنوباً إلى الشلال الثانى (١٨٥) ثم جاء (أوسرتسن) الثالث خامس ملوك هذه الدولة فوصل بحدود مصر إلى شلال سمنة واعتبر ذلك حداً فاصلا بين أراضى الدّولتين . (١٨٦) هذا ولم تمر فترة حتى استرد السودان استقلاله وأمكنه أن يملك قراره السياسى بعيداً عن التأثير الأجنبى فأتاح له ذلك منح اللجوء السياسى بأرضه لمن هاجر

---

١٨٠ - كوش : اسم عرفت به أراضى السودان فى التوراة وفى الآثار المصرية راجع جغرافية وتأريخ السودان لشقير ج ٢ ص ٢٩٧ وراجع التوراة الملوك الأول ١٤ : ٢٥ والأيام الثانى ١٢ : ١/٢ الملوك الثانى ٢٣ : ٢٩ الأيام الثانى ٣٥ : ٤٠ والجواهر الحسان ص ز ، والتربية فى السودان ج ٣ ص ١ ، هذا وكوش لفظ عبرى معناه الأسود راجع الفصائل اللغوية للدكتور/ محمود فهمى حجازى وهو بحث قدم لمؤتمر مجمع اللغة العربية فى دورته ٥٨

١٨١ - إثيوبيا : اسم أطلقه اليونانيون على جميع بلاد السود راجع أطلس تاريخ الإسلام للدكتور حسين مؤنس الخريطة رقم ٢٨ العالم فى عصر البعثة النبوية (أوائل القرن السابع الميلادى) وراجع أيضا الخريطة رقم ٢٠ والخريطة ٣١ ، والخريطة ٣٣ وراجع الجواهر الحسان ص ح وراجع كتاب التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٩١ (صور مرفقة من الخرائط وتجدها فى الباب السادس من هذا الكتاب تحت عنوان خرائط) .

١٨٢ - جغرافية وتأريخ السودان لشقير ج ٢ ص ٢٩٩

١٨٣ - كورسكو .. بلدة صغيرة تقع على بعد ١٢ ١/٢ من الميل من السبوع وهى أقرب نقطة نيلية إلى أبى حمد راجع شقير ص ٩٢

١٨٤ - شقير ص ٢٩٩

١٨٥ - شقير ص ٣٠٠

١٨٦ - شقير ص ٣٠٠

إليـه من المصـريين (١٨٧) فـراراً من عـسْف وبطش الرعاة العـمالقة أولئك الذين قدموا من آسيا الجنوبية وغلبوا المصريين على أراضيهم واستعـمروها ستـمائة سنة ونيـفًـا .

بين السودان ومصر :

خلال فترة استقلال السودان كوّن أهله مملكةً مُنظّمةً جعلوا (نبته بالقرب من مروى) عاصمةً لها وأسّسوا بها حضارة تجلّت فى أنواع شتّى فى الفنون والصّنايع .. (١٨٨) وبنوا جيشاً ساعدوا به الملك أحمس أوّل ملوك الدولة الثامنة عشرة على طرد الرعاة من مصر وإعادة استقلالها لها بعد أن توّجا علاقاتهما بالمصاهرة والنسب حيث تزوج ملك مصر آنذاك بنت ملك السودان . (١٨٩)

وفى عهد الملك (تحوتمس) الأول ثالث ملوك الدولة المصرية الثامنة عشرة (١٦٠٠ : ١٣٨٠ ق . م) أعيد احتلال السودان عسكرياً فأصبح بذلك تابعاً لمصر ، غير أنه ما إن استرد

(امنحتب) الثالث المعروف (بامنوفيس) تاسع ملوك الدولة المصرية الثامنة عشرة ، وقد دوّن هذا الأخير خبر انتصاراته على صخرةٍ بقرب جزيرة فيلى فى جنوب الشلال الأول ، حيث جزيرة أنس الوجود ، وبنى لنفسه هيْكلا فى صُلب ، وآخر فى عاصمة نبتة ، ووضَع أمام بابه صَفَّين من الكباش الرابضة على هيئة أبى الهول . (١٩٠)

وفى عهد (حور محب) آخر ملوك الدولة المصرية الثامنة عشرة أعيد غزو السودان بعد أن نعم فيما يبدو فترةً باستقلاله ، وأصبحت له دولة ذات شأن وبأس ، بدليل أن النصّ الذى سجل فيه (حور محب) خبر انتصاره على السودان جاء فيه : لقد قدم المقدّس الفاضل بعد أن قهر كبار الأمم أجمع وقوسُه تلمع فى يده ، فحبّذا هذا الملك القادر الفخيم الذى جاء برؤساء إثيوبيا . (١٩١)

ثم كانت الدولة المصرية التاسعة عشرة (١٣٨٠ : ١٢٣٠ ق . م) وفيها

---

١٨٧ – كان أبرز مهاجر المصريين هو مهجر أزقو راجع شقير ج ٢ ص ٣٠١

١٨٨ – راجع الحضارة والدين للبروفسير حسن الفاتح قريب الله .

١٩٠ – شقير ص ٣٠٣

١٩١ – شقير ص ٣٠٤

غـــزا (رعـمسيس) الثانى . (١٩٢) ثانى ملوكها أرضَ السودان ، وأقـام لـه فـى تلمس (كلابشة) هيْكلاً صغيراً نادر المثال ، حفره فى الصخر تذكاراً لانتصاره ، وهو من أثمن الآثار القديمة فى مصر وإثيوبيا ، وعلى جدرانه نقـوش صـور وكـتـابات رائعـة الصنع .

ولرعـمسيس المذكور آثار أخرى بالسودان منها :

١/ هيكل منحوت فى صخرة فى (الدر) .

٢/ هيكل من الحجر الرملى الصلب أقامه فى (السُّبوع) .

٣/ قلعه بوادى (السُّبوع) . (١٩٣)

٤/ هيكل أبى سمبل على بعد ١٧٠ميلاً من الشلال الأول ، وهو هيكل عظيم منحوت فى الصخرة فى منحدر أكمة مرتفعة فوق النيل ، أقامه رعمسيس تذكاراً لانتصاره على الحيثيين فى الشمال الشرقى من سورية وهو أجمل وأعظم الهياكل فـى إثيوبيا الشمالية أو السودان ؛ بل لقد ورد بأن فى صنعه ونحته من العظمة مع البساطة على مالايوجد فى غيره من هياكل وادى النيل كلّها . (١٩٤)

٥/ هيكل نبته .. وهو أقدم الهياكل :- فيما يبدو - بتلك المدينة (١٩٥) هذا وفى الفترة التى أعقبت انقضاء الدولة العشرين خرج السودانيون عن طاعة مصر واستقلوا ببلادهم فتسنّى لهم بذلك تكوين دولة علا نجمها وذاع صيتها فأصبحت لها بذلك الريادة والسيادة فى كل المنطقة، بل لقد روى أنهـا مدت حدودها فـضـمت إليـهـا بعض الأراضى المصريـة ، ودحر ملكـهـا (الملك بعنخى) هجومًـا للملك (تفتحْت) حاول به استرجاع بعض أراضى بلاده على أنه ما إن استسلم الأخير لسطوة الملك بعنخى حتى أقامه نائبا له بمصر مُقراً كذلك أمراءه على ما كانت لهم من

---

١٩٢ - رعمسيس الثانى هو ابن أمينوفيس أو أمونفائيس كما كان يعرف قديماً وهو اسم لفرعون مصر الذى عاصره سيدنا موسى عليه السلام راجع هامش كتاب تاريخ مختصر الدول للعلامة غريغوريوس أبى الفرج بن أهرون الطبيب الملطى المعروف بابن العبرى تصحيح وفهرست الأب أنطون صالحانى اليسوعى طبع دار الرائد اللبنانى بلبنان سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م . هامش ص ٢٧

١٩٣ - شقير ص ٣٠٦

١٩٤ - شقير ص ٣٠٦

امتيازات سابقة فى عهد مليكهم - جاعلا له ولهم من مدينة (نبتة) عاصمة للمملكة الموحّدة التى ضمّت (السودان ومصر). (١٩٦)

وانقضت أيّام الملك بعنخى .. وفى أيّام ابنه الملك (كاتشا) أو (كاشتا) ثار عليه نائبه بمصرالملك (تفنت) ، ثم من بعده ابنه (باكوريس) واستطاعا استرداد مصر من قبضة السودانيين ، غير أن الملك السودانى (سباقون) ابن الملك (كاتشا) أعاد فتح مصر مرة أخْرى بعدأن قتل ملكها (باكوريس) ،وبذلك أسّس دولة عرفت فى تأريخ مصر بالدولة الخامسة والعشرين الإثيوبية (٧١٥ : ٦٦٤ ق.م) .

هذا ومما يذكر عن الملك (سباقون) أنه كان رجلاً عدلاً فخوراً ، محبًا للتقدم والإصلاح ، بدليل أنه لما تولى سرير الملك شرع فى تنظيم مصر وضبْط إدارتها ، فأبقى كل رئيس على إقليمه مع حفظ نفوذه على الرؤساء بمراقبة أمراء إثيوبيين له وجعل شقيقته (آمن ريتس) ملكة على الوجه القبلى فى ثيبه وأنشا بمصر الجسور ، وأكثر من حفر الترع حرصًا على البلاد من أن يمسها غرق ، ورّمم كثيرا من المعابد ، واستبدل عقوبة القتل بالأشغال الشاقة ، واشتهر بحسن التّدبير ، وجودة السياسة فتمتعت مصر فى عهده بالراحة والاستقرار والأمان والرخاء . (١٩٧)

على أن طموح هذا الملك ورغبته فى التوسع ، وبسْط نفوذه على بلاد الشام وحرصه على مساعدة (هوشع)ملك إسرائيل ، وتحالفه معه ضد (شلمنصر) ملك آشور الذى كدّر صفاء الفينيقيين والإسرائيليين والفلسطينيين كل ذلك عجل بحتفه وزوال سلطانه - حيث هزم فى حربه ضد الملك آشور من ناحية ، وثار عليْه سكان الوجه البحرى تحت رئاسة (اسطيفانيس) أحد أقرباء الملك (باكوريس) من ناحية أخرى ، وبذلك زال ملكه بمصر وانحصر سلطانه داخل بلاده بالسودان . (١٩٨)

بعد أن مات (سباقون) استطاع الملك (سبيخون) أن يستعيد حكم مصر ويخضعها

١٩٦ - شقير ص ٣٠٧/٣١٥
١٩٧ - شقير ص ٣١٥/٣١٦

لسيطرته ، على أنه ما إن استتب له الأمر حتى ثارعليه أحد أمرائه من السودانيين واسمه (طهراق) فقضى على ملك (سبيخون) ونصّب نفسه ملكا بدلاعنه ثم زحف طهراق على اسطيفانيس وحرر (منف) من قبضته واستدعى من بعد أمُه من السودان فولاّها حكم الوجه البحرى والقبلى ومنحها لقب (سيدة الأمم) .(١٩٩)

وفى النصف الأول من القرن السابع قبل الميلاد تعرضت مصر لغزو أجنبى من الأشوريين انسحب على إثره السودانيون من مصر ، ثم وفى سنة ٦٦٩ ق.م عاودوا فتحها فصدهم عنها الأشوريون ، على أنهم ما إن علموا بعودة الملك آشور إلى بلاده (نيترى) حتى استرجعوا من أمرائه أملاكهم ، وظلوا حكاما عليها فترة بلغت فى مجموعها عشرين عاما .

هذا وقد انسحب الملك طهراق من مصر بمحض اختياره ولما توفى بالسودان تولى الملك (توات ميامون) (٢٠٠) وفى عهد هذا الأخير تم فتح السودان لمصر فتوحّدت قيادتها السياسيه تحت إمرة السودانيين بعد أن ساعدهم على النصر إخوانٌ لهم كانوا قد كونوا حزبًا قويًا فى (ثيبة) وضواحيها وأقاموا فيها زمانًا حائزين لرتبة الكهانة فى معبد (آمن رع) (٢٠١) وفى آخر أيام هذا الملك الأخير تآمر ضده بعض وجهاء مصر واقتسموا الملك بعده فيما بينهم وكانوا اثنى عشر حاكما فسمِّيت حكومتهم بالمقاقمة الأنثى عشرية وداموا على ذلك خمس عشرة سنة إلى أن قام أحدهم وهو (بسامتيك) بلاستئثار بمفرده بحكم مصر ، مستعينا لتحقيق ذلك ببعض المرتزقة من اليونانيين الذين آزروه فى التخلص من منافسيه من ناحيه ، ثم فى إبعاد السودانيين إلى خارج أسوان من ناحية أخرى منهين بذلك فترة ٤٩ سنة شهدت فيها مصر باعتراف المؤرخين عدالة لم تشهدها من قبل . (٢٠٢)

الملك من بعده صهره (أوردآمن)ثم خلفه

١٩٨ – شقير ص ٣١٦
١٩٩ – شقير ص ٣١٦/٣١٧
٢٠٠ – شقير ص ٣١٧/٣١٨
٢٠١ – شقير ص ٣١٨/٣٢٠
٢٠٢ – شقير : جغرافية وتأريخ السودان ص ٣٢٠

بعض أشهر لغات السودان قديماً :

اللغـات السـاميـة التى دخلت المناطق السودانيـة عن طريق الشـرق منذ القـرن العـاشر قـبل الميـلاد كـانت تشـمل :

أ / لغة الجعز (الكعز) : Guéze Geez

وهذه اللغة هى أقدم ماوصل إلينا مدونا من اللغات السامية بالسودان .. ويتمثل المحفوظ منها حاليا ومن القرن الثالث الميلادى – فى نقوش خالية من الحركات ، علما بأنّ ما على اللغة من حركات فى العصر الحاضر هى حركات حادثة نسْبيًا إذ يرجع تأريخها إلى القرن الخامس بعد الميلاد .. هذا وكانت اللغة المذكورة ذات تراكيب ومعان أشبه ماتكون باللغة العربية الفصحى .. [٢٠٣] وهى وإن أخذت تنقرض منذ القرن الثانى عشر الميلادى فقد بقيت حيّة بفعل الكنيسة وإن انحصرت دائرتها فى نطاق ضيق لايكاد يتعدى الطقوس الدينية .

ب/ اللغة التّجرية (التكرية) : [٢٠٤]

Tigré : Tigre

وهى لغة تنتسب إلى منطقة التّجرى وكانت منتشرة فى منطقة تمتد من مُصَوّع إلى كَسَلا ويتحدث بها الارتريون وسكان جزيرة (دهلك) وقدأخذفى تدوينها منذ أوائل هذا القرن .[٢٠٥]

ج / اللغة التجرينية (التكرينية) :

Tigrigana (Tigri) Tigrinya : Tigrai

وكانت كسابقتها تنتشر فى منطقة تمتد من مُصوّع إلى كَسَلاوتحدث بها كذلك بعض سكان شمال السودان .[٢٠٦]

د/ اللغة الامهرية : Amharic

وهى لغة ذات طابع كوشى وكانت أكثر انتشارا من سابقتها إذ تحدث بها بعض سكان شمال السودان وشرقه كما تحدث بها سكان

---

٢٠٣ – العربية هى إحدى اللغات السامية الجنوبية التى كانت تنتشر فى شمال وجنوب شبه الجزيرة العربية وفى الحبشة (السودان) وأقدم نص عربى قديم وصل إلينا منها يرجع تاريخه إلى سنة ٣٧٨ بعد الميلاد علما بأن العربية المذكورة ذات مراحل تاريخية متعددة ومستويات لغوية شتى وقد استخدم القرآن منها اللغة الفصيحة وعليه فيها اعتمد النحاة فى وضع قواعد اللغة العربية كما اعتمدوا على كلام العرب شعراً ونثراً حتى منتصف القرن الثانى الهجرى بالنسبة للحضر وأواخر القرن الرابع بالنسبة للبدو (راجع الفصائل اللغوية للأستاذ دكتور محمود فهمى حجازى ص ١١/١٢) .

٢٠٤ – نفسه ص ١٤

٢٠٥ – نفسه ص ١٤/١٥

٢٠٦ – الفصائل اللغوية ص ١٥

الحبشة فى حدودها الحالية ، وأقدم ما وصل إلينا من نصوصها يرجع إلى القرن الثالث عشر الميلادى (السابع الهجرى) . (٢٠٧)

هـ/ اللغة التى تسمى اصطلاحا بالمصرية القديمة (الهيروغليفية):

وهى لغة استخدمت فى الكلام والكتابة فى السنوات (٣٢٠٠- ٢٢٤٠ق.م) إبان عهد الدولتين القديمة والوسطى اللتين امتدت حدودهما الجغرافية والسياسية حتى سمنة ؛ الأمر الذى جعل الغزاة الهيروغليفية لغة رسمية للسودان سجّل بها الأخيرون آثارهم ، واستخدموها فى الكلام والكتابة تبعا لمن احتلوا بلادهم .

و/ اللغة التى تسمى ا صطلاحا بالمصرية الحديثة

وهى لغة استخدمت فى الكلام والكتابة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة التى كان للسودانيين الدور المعلّى فى إنشائها وتكوينها واستقرار أمورها إذ ساعدوا بجيشهم ملكها أحمس أول ملوك الدولة الثامنة عشرة على طرد الرعاة من مصر وإعادة استقلالها بعد أن توجا علاقات الجوار بينهما بالمصاهرة والنسب حيث تزوج ملك مصر آنذاك بنت ملك السودان . (٢٠٨)

فى عهد هذه الدولة ذات النفوذ السّياسى والعسكرى للسودان فيها على مصر والتى ظلت قائمة حتى عهد البطالمة استعمل السودانيون الكتابة الهيروغلوفية كما استعملوا الخط الهيراطيقى (٢٠٩) . علما بأنه فى أواخر القرن السادس قبل الميلاد هاجر إلى مملكة مروى عاصمة السودان الشمالى آنذاك – آلاف من المصريين غضبا من الملك بسامتيك الأول مؤسس الدولة المصرية السادسة والعشرين (٦٤٤-٥٢٥ ق . م)حيث آثر عليهم جيشا كوّنه من اليونان .

وفى السودان نعم المهاجرون بترحيب وإكرام خاص من ملك البلاد رووا أنه أقطعهم أراضى اتخذوها لهم موطناً استقروا به وتوالدوا فنشأت من ذريتهم طائفة كبيرة نالت شهرة ومكانة عند ملوك السودان حتى أنهم أجلسوهم على

---

٢٠٧ – الفصائل اللغوية ص ١٥
٢٠٨ – جغرافية وتاريخ السودان لشقير ص ٣٠٢
٢٠٩ – الفصائل اللغوية ص ١٦

يسارهم وأسموهم طائفة (الأسماخ) أو (الأتومولى) . (٢١٠)

فى عهد هؤلاء الأسماخ أو الأتومولى أخذت الكتابة الهيروغلوفية المذكورة سابقا - صورة مختصرة غير الهيراطيقية أطلقوا عليها اسم (الديموطيقية) وظلت فى السودان كما هو الحال فى مصر لغة كتابة طوال العصور الصاوية واليونانية والرومانية (٢١١) .

هذا وقد استعان ملوك السودان بالأسماخ أو الأتومولى المذكورين فألحقوهم بجيش البلاد ليردوا لهم ما كان لأسلافهم فى بلادهم من مكانة سلبها منهم اليونانيون .. على أن السودان لم يلبث أن غزا مصر بهؤلاء المهاجرين وبغيرهم من السودانيين وذلك فى سنة ٥٩١ ق . م إبان عهد بسامتيك الثانى ثالث ملوك الدولة المصرية السادسة والعشرين (٢١٤) .

ز / اللغة المرَوية :

ح/ اللغة القبطية : وكانت قد شاعت هذه اللغة بالسودان إبان العصر النصرانى وعلى الأخص بعد أن عظم الاتصال بين النوبة والإسكندرية حتى أنه ليروى أن مطارنة النوبة كانوا يفدون إلى السودان من الإسكندرية بعد أن ينصبهم لهذا الغرض بطريرك الأقباط .. هذا وكانت اللغة القبطية المذكورة تكتب بأبجدية أخذت أربعة وعشرين حرفا من الأبجدية اليونانية وسبعة أحرف من الخط الديموطيقى (٢١٣)

ط/ لغة البجة أو اللغة البشارية :

وهى لغة كوشية كانت تنتشر على ساحل البحر الأحمر فى المنطقة الشمالية الشرقية من السودان ، على أن دائرة انتشارها حاليا قد انحسرت بعد أن عمت اللغة العربية كل أجزاء السودان بحدوده الحالية .

---

٢١٠ - جغرافية وتاريخ السودان لشقير ص ٣٢٣

٢١١ - الفصائل اللغوية ص ١٦ وتاريخ السودان لمندور ص ٥٠

٢١٢ - جغرافية وتاريخ السودان ص ٣٢٣

٢١٣ - الفصائل اللغوية ص ١٦

ى/ اللغة العربية :

تعد اللغة العربية (٢١٤) من حيث الخصائص الصوتية والصرفية أقرب اللغات من اللغة السامية الأم .. وكانت قد انتشرت قديما فى المنطقة التى تحد من الجنوب الشرقى بالخليج العربى ، ومن الشمال الشرقى ببلاد مابين النهرين ، ومن الجنوب الغربى بالهضبة الحبشية ، ومن الشمال الغربى بالبحر الأبيض المتوسط وامتدت شمالا على مدى عدة قرون إلى الأندلس فى عهد الدولة الإسلامية بها .

هذا وتنقسم اللغات السامية إلى :

١/ السامية الشرقية : وهو مصطلح يطلق فى إطار التقسيم الجغرافى للغات السامية على اللغه الأكِديّة ؛وهى كما ورد لغة العراق القديمة وكانت كتابتها بالأحرف المخروطية الشكل مقطعية وليست أبجدية .

٢/ السامية الغربية : وهى مصطلح يُطلق فى إطار التقسيم الجغرافى على اللغات السامية التى انتشرت فى الشام والجزيرة العربية والحبشة .

٣/ السامية الشمالية .

٤/ السامية الجنوبية :

ومنطقة انتشارها قديما شبه الجزيرة العربية شمالها وجنوبها والحبشة . فى إطار هذه اللغة السامية الجنوبية نشأت اللغة العربية .. والأخيرة تسمية عامة تشتمل على كل مستويات اللغة العربية من النقوش القديمة والشعر الجاهلى والقرآن الكريم والحديث الشريف ولغة الآداب والعلوم واللهجات فى عصر ازدهار الحضارة الإسلامية إلى العصر الحديث علما بأنه وفى داخل العربية المذكورة مراحل تأريخية متعددة ومستويات لغوية شتى ، ويستخدم الباحثون لوصفها مصطلحات مختلفة مثل :

---

٢١٤ - بالرغم من أن اللغة العربية أقدم تأريخيا من اللغتين الكنعانية والآرامية وبالرغم من أن اللغات الثلاثة المذكورة كانت تستخدم لدى مجتمعات مختلفة فى غرب شبه الجزيرة العربية - إلا أنه من المرجح أن اللغة الكنعانية (التى تمثل اللغة العبرية لهجة من لهجاتها) كانت قد ماتت أو كادت فى سنة ٥٠٠ ق . م وحلت محلها اللغة الآرامية فأصبحت فى ظل حكم الاخمينيين لغة الإدارة فى أنحاء الإمبراطورية الفارسية واللغة المشتركة لمنطقة الشرق الأدنى .. هذا وبحلول القرون الأولى لميلاد سيدنا المسيح عليه السلام - كانت اللغة العربية وهى أصلاً لغة القبائل الرعوية للبادية الشامية العربية وكذلك فى أجزاء من العراق والشام غير تاركة سوى جيوب صغيرة من المتكلمين بالآرامية فى هاتين المنطقتين الأخيرتين فى القرن السابع أو الثامن للميلاد (راجع التوراة) .

أ/ العربية الفصحى .

ب/ العربية المولّدة .

ج/ العربية المعاصرة .

د/ اللهجات العربية .

ولما كانت اللغة العربية لغة أصيلة بالسودان ، انتشرت بين أهله فى نفس الوقت الذى انتشرت فيه بين سكان شمال وجنوب شبه الجزيرة العربية (٢١٥) فقد كان من الطبيعى أن يتحدث بها عامة المواطنين وخاصتهم ، بل وأن يستخدموا اللغة الفصحى منها بكفاءة تجلّت مظاهرها فيما يلى :

١/ **مكنتهم** من أن يفهموا ويتأثروا بالدعوة الإسلامية التى شرحها لخاصتهم وعَبْرهم لعامتهم سيِّدناجعفر بن أبى طالب .

٢/ **مكنتهم** من أن يفهموا ويُقدِّروا ويستجيبوا لخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم .

٣/**مكنتهم** من أن يتعاملوا تجاريا مع جيرانهم فى الشرق .

٤/ **مكنت** بعض النصارى من أن يؤثِّروا على عُبَيْد الله بن جحش فيرتدّ – والعياذ بالله – عن الإسلام .

٥/ **مكنتهم** مِنْ أن يتعاملوا مع من هاجر إلى بلادهم من الصحابة .

٦/ **مكنتهم** من أن يستجيبوا لعمرو بن أمية بن خُويلد الضّمرى مبعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم للنجاشى فيردوا معه المسلمين على ظهر سفينتين خصّصها لهذا الغرض .

٧/ **مكنتهم** من أن يستمعوا ويستهجنوا دعوة عبد الله بن ربيعة مبعوث المشركين للإيقاع بالمسلمين ، مما جعله يرجع هو وصحبه خائبَين .

٨/ **مكنت** النجاشى من أن يُقنع عمرو بن العاص بالدعوة الإسلامية فيسلم على يديه .

٩/ مكّنت الأفراد والجماعات من أن يهاجروا طلبا للاستقرار النهائى أو المؤقت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٠/ مكّنت أسرا كاملة من أن تستقر حتى قبل ظهور الإسلام بمكة وغيرها من بلاد العرب .

حسن الفاتح قريب الله

عضو المجمع المراسل

من السودان

٢١٥ – الفصائل اللغوية للأستاذ الدكتور محمود فهمى حجازى ص ١٢/١١